توجيه القراءات وأثره في المعنى عند الإمامين الطبري والطاهر بن عاشور
نماذج مختارة من سورة الإسراء

يمينة عبدالي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عنوان الدراسة:
توجيه القراءات وأثره في المعنى عند الإمامين الطبري والطاهر ابن عاشور
نماذج مختارة من سورة الإسراء

إعداد:

الباحثة يمينة عبدالي

مقدمة

يقول المولىٰ عز وجل: ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل: ٤]، تعتبر هذه الآية من قواعد قراءة القرآن ومن أداب التعامل مع أحرفه، فالقراءة تحتاج إلىٰ تمعُّن، وإلىٰ بيان وإعطاء أحرف القرآن حقَّها، ومستحقها والترسل في معانيها، وحمل تلكم المعاني بعضها علىٰ بعض، فالإعجاز في هذا الدين لغة القرآن ومعانيه، وقراءة ما تيسَّر من الأحرف السبعة، يعطي بعدًا وفهمًا وتحليلًا، وأضرب عدة في وجوه التفسير لآياته، وما يستنبط منها، فعلم القراءات والأوجه فيها وما تحمله من اختلافات، ما هي إلا دليل علىٰ هذه السَّعة في مجال التفسير، وتعدُّد المعاني والدلالات التي يستنبط منها التشريع والفقه، وبيان الأحكام وبلاغة اللغة؛ حيث تأخذك تلك المفردات المختلف فيها إلىٰ نطاق شاسع ومرونة في التعامل مع النص القرآني تفسيرًا وتحليلًا، وقد خاض علماء كثر الغوص في معانيه، وتوجيه تلك المفردات التي تندرج ضمن القراءات المتواترة ما يغني طالب العلم عن السؤال، وإن كان هذا الباب مفتوحًا ليوم الدين، فمن إعجازه ديمومة هذا القرآن وبقائه إلىٰ يوم الميعاد، ولعل الإمام الطبري والإمام محمد الطاهر ابن عاشور من العلماء الذين أسهموا إسهامات عظمىٰ أفاد منها اللاحقون بما استفادوا هم من السابقين، بالإضافة إلىٰ آرائهم وطرْحهم الذي يعتبر مصدرًا مهمًّا من مصادر التفسير.

فجاء موضوع هذا البحث في اختيار نماذج من سورة الإسراء أو بني إسرائيل، أو سورة سبحان، وكلها مسميات لها، وتتبع منهج الإمامين في التطرق لموضع اختلاف القراءات وكيفية توجيهما له، وبيان تلك المعاني المنبثقة عن التوجيه، من خلال تفسير الطبري والتحرير والتنوير، فطبيعة الموضوع تستلزم أن يكون المنهج استقرائيًّا تحليليًّا، ففيه رصدٌ للقراءات وتتبُّع للتوجيه، وتحليل تلك المعلومات؛ حتىٰ يتبيَّن المنهج

المتَّبع عند الإمامين، فكانت خطة البحث علىٰ فصلين أحدهما نظري والآخر تطبيقي بالتفصيل التالي:

خطة البحث:

الفصل الأول: الجانب النظري.

المبحث الأول: مدخل لعلم توجيه القراءات.

المطلب الأول: مصطلحات علم توجيه القراءات.

الفرع الأول: تعريف توجيه القراءات لغة واصطلاحًا.

الفرع الثاني: مصطلحات علم التوجيه.

١. الاختيار.

٢. الترجيح.

المبحث الثاني: نبذة عن الإمامين والتفسيرين:

المطلب الأول: الإمام الطبري وتفسيره "جامع البيان".

المطلب الثاني: الإمام محمد الطاهر ابن عاشور وتفسيره" التحرير والتنوير".

الفصل الثاني: نماذج من سورة الإسراء.

المبحث الأول: النموذج الأول:

المطلب الأول: أوجه اختلاف القراءات في الآية.

أولًا: أوجه اختلاف القراءات في الآية من الطبري.

ثانيًا: أوجه اختلاف القراءات في الآية من التحرير والتنوير.

ثالثًا: أوجه اختلاف القراءات المذكورة في الآية من كتب القراءات القرآنية.

المطلب الثاني: التوجيه النحوي واللغوي للآية:

أولًا: التوجيه النحوي واللغوي لآية في جامع البيان.

ثانيًا: التوجيه النحوي واللغوي للآية في التحرير والتنوير.

ثالثًا: التوجيه النحوي واللغوي من كتب توجيه القراءات مع الترجيح.

المطلب الثالث: منهج الإمامين في التفسير وتوجيه القراءات.

أولًا: منهج الإمام الطبري في تفسير الآية.

ثانيًا: منهج الإمام الطاهر ابن عاشور في تفسير الآية.

المبحث الثاني: النموذج الثاني:

المطلب الأول: أوجه اختلاف القراءات في الآية.

أولًا: أوجه اختلاف القراءات في الآية من الطبري.

ثانيًا: أوجه اختلاف القراءات في الآية من التحرير والتنوير.

ثالثًا: أوجه اختلاف القراءات المذكورة في الآية من كتب القراءات القرآنية.

المطلب الثاني: التوجيه النحوي واللغوي للآية:

أولًا: التوجيه النحوي واللغوي لآية في جامع البيان.

ثانيًا: التوجيه النحوي واللغوي للآية في التحرير والتنوير.

ثالثًا: التوجيه النحوي واللغوي من كتب توجيه القراءات مع الترجيح.

المطلب الثالث: منهج الإمامين في التفسير وتوجيه القراءات:

أولًا: منهج الإمام الطبري في تفسير الآية.

ثانيًا: منهج الإمام الطاهر ابن عاشور في تفسير الآية.

****

الفصل الأول

مدخل لعلم التوجيه

المبحث الأول: مدخل لعلم توجيه القراءات:

المطلب الأول: مصطلحات علم توجيه القراءات:

الفرع الأول: تعريف توجيه القراءات لغة واصطلاحًا:

أولًا: تعريف التوجيه لغة واصطلاحًا:

لغة: مصدر وجَّهَ، توجهًا وتوجيهًا، وأصله من الوجه، ووجه الكلام: السبيل الذي تقصده به[1]، وله معان شتىٰ في كتب اللغة لها علاقة بمعناه الاصطلاحي نلخصها فيما يلي:

- مقابلة الشيء.
- السبيل المقصود.
- مستقبل كل شيء.
- تصير الشيء وإرادته إلىٰ الجهة التي يراد أن يتجه إليها.
- تحريك الشيء إلىٰ المسلك أو الطريق الذي يراد أن يسلك فيه.
- غرس الشيء إقامة الشيء وتعديله علىٰ نحو معين[2].

اصطلاحًا:

توجيه القراءات يدور حول بيان الوجه المقصود من القراءة، أو تلمُّس الأوجه المحتملة التي يجري عليها التغاير القرآني في مواضعه، سواء كانت هذه الوجوه نقلية أو عقلية، فعلم توجيه القراءات علم يبحث في بيان وجوه القراءات؛ من حيث اللغة

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة وجه، ج:١٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:٢، ١٣١٩ ه، ص: ١٣.

(٢) توجيه القراءات، النعيم محمد، ص: ٢٢١٠.

والإعراب والمعنىٰ، وغير ذلك من احتجاج القراءة مع ذكر الأدلة، فمجموع هذه الأمور تسمىٰ توجيهًا، وتسمىٰ كتب هذا العلم كتب التوجيه أو الاحتجاج أو علل القراءات[٣].

ثانيًا: تعريف القراءات لغة واصطلاحًا:

لغة:

جمع قراءة وهي في اللغة مصدر سماعي لفعل قرأ، ومعنىٰ القراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلىٰ بعض في الترتيل[٤].

اصطلاحًا:

علم بكيفية أداء كلمات القرآن الكريم واختلافها وعزوها لناقلها[٥]، والقراءات المتواترة هي كل قراءة وافقت العربية مطلقًا، ووافقت أحد المصاحف ولو تقديرًا، وتواتر نقلُها، ويلحق بها القراءة الصحيحة الجامعة للأركان الثلاثة المستفيضة المتلقاة بالقبول والقراءات العشر[٦].

---

(٣) توجيه القراءات دراسة استقرائية تحليلية، النعيم محمد، ص: ٢٢١٠

(٤) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلان، مطبعة البابي، مصر، ص: ٤٠٣

(٥) منجد المقرئين ومرشد الطالبين، محمد الجزري، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩، ص: ٩

(٦) المغني في علم التجويد، عبد الرحمن الجمل، ط: ٣، ٢٠٠٢، ص: ٢٩

الفرع الثاني: مصطلحات علم التوجيه:

أولًا: تعريف الاختيار لغة واصطلاحًا:

لغة: مصدر اختار يختار، وهو بمعنىٰ الاصطفاء والانتقاء والتحديد والتعيين والتفضيل والاصطفاء[٧].

اصطلاحًا:

ملازمة إمام معتبر وجهًا أو أكثر من القراءات، فينسب إليه علىٰ وجه الشهرة والمداومة، لا علىٰ سبيل الاختراع والرأي والاجتهاد[٨]، فهذه القراءات المشهورة هي اختيارات أولئك الأئمة القراء، وذلك أن كل واحد منهم اختار مما روىٰ وعلم وجهًا من القراءات ما هو الأحسن عنده والأَولىٰ، فالتزمه طريقة ورواه وأقرأ به، واشتهر عنه وعُرف به، ونُسب إليه، فقيل: حرف نافع وحرف ابن كثير[٩]، فالاختيارات عند القراء فلا يلزم منها اعتقاد الصواب في القراءة المختارة والخطأ في غيرها، فهو نوع خاص من الترجيح، لا يلزم منه تخطئة غير القول المختار، إضافةً إلىٰ كونه في القراءات اختيارا من المروي لا اجتهادًا مستقلًّا[١٠].

---

(٧) لسان العرب، ابن منظور، ج: ٤، ص: ٢٦٤، مختار الصحاح، المغني، معجم المعاني، https: / /www.almaany.com/

(٨) معجم الاصطلاحات في علمي التجويد والقراءات، إبراهيم الدوسري، ص: ٢١

(٩) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عرفان العشا، بيروت، دار الفكر، ط:١، ١٩٩٣، ج:١، ص: ٥٠

(١٠) الاخيار عند القراء، مفهومه، مراحله، وأثره في القراءات، أمين ابن إدريس فلاته، كرسي القرآن الكريم وعلومه، جامعة الملك سعود، ص:٨

ثانيًا: تعريف الترجيح لغة واصطلاحًا:

لغة: مصدر رجَّح، رَجَحَ الميزان، يرجح ويرجح بالضم والفتح، رُجْحَانًا، فيهما؛ أي مال، وأرْجَحَ له، ورَجَحَّ تَرْجِيحًا؛ أي أعطاه رَاجِحًا بمعنىٰ الميل والتغليب[١١].

اصطلاحًا:

تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل أو قاعدة تقويه، أو لتضعيف أو ردِّ ما سواه[١٢]، وهذا التعريف عند الأصوليين في حين الترجيح في علم القراءات، هو الميل إلىٰ إحدىٰ القراءات المقبولة، وتقديمها علىٰ القراءات الأخرىٰ المساوية لها في الثبوت[١٣].

ثالثًا: تعريف الاحتجاج لغة واصطلاحًا:

لغة: من فعل حجج، حَاجَّهُ فحَجَّهُ من باب رد؛ أي: غلبه بالحجة، وفي المثل لج فحج، فهو رجل مِحْجَاجٌ بالكسر؛ أي جدل والتَّحَاجُ التخاصم.

اصطلاحًا:

هو تخريج القراءات علىٰ أوجه تحتملها العربية، والأصل أن يحتج للنحو بالقراءات لا العكس[١٤]، هو الإتيان بالدليل والبرهان لإثبات صحة القراءة أو تقويتها، لمدافعة الخصم والرد عليه، ودحض مزاعمه، وقد يكون الدليل من القرآن أو الحديث أو

---

(١١) مختار الصحاح، أبو بكر الرازي، موقع معجم المعاني، https: / /www.almaany.com/

(١٢) قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين الحربي، دار القلم، الجزء الأول، ط:١، ١٩٩٦، ص: ٣٥

(١٣) الترجيح بين القراءات أحكامه وموقف المفسرين منه، نور الدين عتر وأخرين، مجلة بحوث جامعة حلب، سلسلة العلوم القانونية والشرعية، العدد: ٤، ٢٠١٤، ص: ٧

(١٤) الاحتجاج للقراءات في كتاب حجة القراءات لابن زنجلة، علي بن عامر بن علي الشهري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرىٰ، ١٤٢٤-١٤٢٥،ص: ٢٩

الشعر، أو اللغة أو النحو أو النظر، أو هو الاستدلال علىٰ صحة القراءات والدفاع عنها بما ورد من أدلة لدحض شبه الخصم[١٥].

(١٥) منهج الإمام ابن عاشور في القراءات في تفسيره التحرير والتنوير، بسام رضوان عليان، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد ١٩، العدد الثاني، يونيو ٢٠١١، ص:٥٦٦

المبحث الثاني

نبذة عن الإمامين والتفسيرين

المطلب الأول: الإمام الطبري وتفسيره "جامع البيان:"

أولًا: مولده ومكانته العلمية:

محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الإمام. ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها، وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبىٰ[١٦]، وُلد قبل نهاية العصر الذهبي للدولة العباسية ٢٢٧ ه-٢٣٢ه، عاش جميع حياته في ظل الخلافة العباسية؛ حيث الانقسامات السياسية والإدارية، وظهور الفرق والمذاهب، غير أن الناحية العلمية كانت في نهضة وتألُّق وحضارة، رحل إلىٰ العراق والشام ومصر، وجمع مختلف العلوم حتىٰ صار موسوعة علمية، فبدأ بالعطاء والتدريس والمناظرة والمجالس العلمية، والإفتاء والإقراء والتحديث والتصنيف[١٧]، كان من العبادةِ والزَّهادةِ والوَرَع والقيامِ في الحَقِّ، لا تأخذُه في ذلك لومةُ لائم، وكان حسَنَ الصَّوتِ بالقراءة مع المعرفةِ التَّامَّة بالقراءات علىٰ أحسَنِ الصِّفات، وكان من كبارِ الصَّالحينَ، يتعَفَّفُ عن قَبولِ أموال السلاطين والوزراء، وكان صاحِبَ هِمَّة عالية في الكتابةِ[١٨].

وقال ابن كثير: "كان أحد أئمة الإسلام علمًا وعملًا بكتاب الله تعالىٰ وسُنة رسوله صلىٰ الله عليه وسلم"[١٩]، وقال الإمام الذهبي: "الإمام الجليل، المفسر أبو جعفر، صاحب التصانيف الباهرة... من كبار أئمة الإسلام المعتمدين[٢٠]".

---

(١٦) الأعلام، الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة ١٥، ٢٠٠٢ ج:٦، ص: ٦٩

(١٧) الامام الطبري، محمد الزحيلي، دار القلم، دمشق، الطبعة:٣، ١٩٩٩، ص: ٢٨٩

(١٨) الموسوعة التاريخية، الدرر السنية1061/ https: //dorar.net /history /event

(١٩) البداية والنهاية، ابن كثير، ج: ١١، ص:١٤٦

(٢٠) ميزان الاعتدال، الذهبي، ج: ٣، ٤٩٨-٤٩٩

ثانيًا: مؤلفاته:

ترك الإمام كما هائلا من المصنفات:

- جامع البيان في تأويل القرآن، المعروف بتفسير الطبري.
- تاريخ الأمم والملوك، المعروف بتاريخ الطبري.
- كتاب ذيل المذيل.
- اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام، المعروف باختلاف الفقهاء وهو في علم الخلاف.
- لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام، وهو كتاب فقه في المذهب الجريري.
- الخفيف في أحكام شرائع الإسلام، وهو في تاريخ الفقه.
- بسط القول في أحكام شرائع الإسلام، وهو في تاريخ الفقه الإسلامي ورجاله وأبوابه.
- تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار، وسماه القفطي (شرح الآثار)، وهو كتاب في الحديث، بقيت منه بقايا طُبعت في أربع مجلدات.
- آداب القضاة، وهو في الفقه عن أحكام القضاء وأخبار القضاة.
- أدب النفوس الجيدة والأخلاق الحميدة.
- كتاب المسند المجرد، ذكر فيه الطبري حديثه عن الشيوخ، بما قرأه علىٰ الناس.
- الرد علىٰ ذي الأسفار، وهو ردٌّ علىٰ داود بن علي الأصبهاني مؤسِّس المذهب الظاهري.
- كتاب القراءات وتنزيل القرآن، ويوجد منه نسخة خطية في الأزهر.
- صريح السنة، وهي رسالة في عدة أوراق في أصول الدين.
- البصير في معالم الدين، وهو رسالة في أصول الدين، كتبها لأهل طبرستان فيما وقع بينهم من الخلاف في الاسم والمسمىٰ، وذكر مذاهب أهل البدع، والرد عليهم.

- فضائل علي بن أبي طالب، وهو كتاب في الحديث والتراجم، ولم يتمه الطبري رحمه الله.
- فضائل أبي بكر الصديق وعمر، ولم يتمه.
- فضائل العباس، ولم يتمه.
- كتاب في عبارة الرؤيا في الحديث، ولم يتمه.
- مختصر مناسك الحج.
- مختصر الفرائض.
- الرد علىٰ ابن عبد الحكم علىٰ مالك، في علم الخلاف والفقه المقارن.
- الموجز في الأصول، ابتدأه برسالة الأخلاق، ولم يتمه.
- الرمي بالنشاب، أو رمي القوس، وهو كتاب صغير، ويُشك في نسبته إلىٰ الطبري.
- الرسالة في أصول الفقه. ذكرها الطبري في ثنايا كتبه، ولعلها علىٰ شاكلة الرسالة للإمام الشافعي في أصول الاجتهاد والاستنباط.
- العدد والتنزيل.
- مسند ابن عباس، ولعله الجزء الخاص من كتاب (تهذيب الآثار)، وطُبعت البقية الباقية منه في مجلدين.
- كتاب المسترشد.
- اختيار من أقاويل الفقهاء

ثالثًا: وفاته:

عاش الطبري رجل علم حتىٰ جاءته الوفاة ولا رادَّ لأمر الله، وكان ذلك في يوم ٢٦ من شهر شوال سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٣م علىٰ الأرجح، في عصر الخليفة العباسي المقتدر بالله، ودُفِن في داره الكائنة برحبة يعقوب ببغداد[٢١].

(٢١) طبقات الشافعية الكبرىٰ، تاج الدين السبكي، ج ٣، ص: ١٢٦

رابعًا: كتاب التفسير "جامع البيان":

- يعتبر هذا الكتاب من أعظم ما كتب في تفسير كتاب الله؛ حيث عُني به والدارسون والعلماء وأشادوا به ومنهم:

- الإمام النووي حيث قال: "لم يصنف أحد مثله"(٢٢).

- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وتفسير محمد بن جرير الطبري هو من أجلِّ التفاسير وأعظمها قدرًا..."، وقال أيضًا: "وأما التفاسير التي في أيدي الناس، فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين كمقاتل بن بكير والكلبي"(٢٣).

- وقال السيوطي في الإتقان: "وكتابه أجلُّ التفاسير وأعظمها... فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها علىٰ بعض، والإعراب والاستنباط، فهو يفوقها بذلك"(٢٤).

المطلب الثاني: الإمام الطاهر ابن عاشور وتفسيره "التحرير والتنوير":

أولًا: حياته والمناصب التي تقلدها:

هو محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن محمد بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد ابن عاشور ولد الشيخ بقصر جده لأمه بالمرسىٰ في جمادىٰ الأول ١٨٧٩م من عائلة عريقة وطبقة اجتماعية رفيعة، حفظ القرآن الكريم علىٰ يد الشيخ المقرئ محمد الخياري، والمتون وتعلم اللغة الفرنسية، ثم التحق بجامع الزيتونة سنة ١٣١٠ه وهو لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره، فحصَّل علومًا شتىٰ، ونبغ فيها لهمته العالية في التحصيل وطلب العلم، فابن عاشور هذا صاحب الشخصية الساطعة، هو الإمام

(٢٢) تهذيب الأسماء و اللغات، الإمام النووي، ج:١، ص: ٧٨

(٢٣) مجموع الفتاوىٰ الكبرىٰ، ابن تيمية، ج: ١٣، ص: ٣٦١

(٢٤) الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج: ٢، ص: ١٩٠

المصلح المفتي القاضي والمدرس، تولَّىٰ منصب رئيس المفتيين وأستاذ التفسير والبلاغة بجامع الزيتونة، وتولىٰ مشيخة الجامع الأعظم وعضو مجامع اللغة العربية، ومهام علمية وإدارية وإصلاحية، فكان قطبًا للإصلاح التعليمي والاجتماعي في عصره، علىٰ الرغم أنه عايش واقعًا يعمه الاضطراب والفوضىٰ السياسية؛ مما انعكس سلبًا علىٰ مجتمعه في شتىٰ الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والدينية والأخلاقية والعلمية، غير أن الحركات الإصلاحية التي سطعت في بلاد المغرب وشتىٰ الأقطار، كانت سببًا في تحريك الهمم وإنارة الطريق والسبيل لصناعة الرجال المصلحين والعلماء المجددين؛ أمثال الطاهر ابن عاشور[٢٥].

ثانيًا: مكانته العلمية وآثاره:

للإمام مكانة وأثرٌ بين الأعلام والعلماء، ففيه قال العلامة محمد البشير الإبراهيمي: "علم من الأعلام الذين يعدهم التاريخ الحاضر من ذخائره، فهو إمام متبحر في العلوم الاسلامية مستقل في الاستدلال، واسع الثراء من كنوزها، فسيح الذرع بحملها، نافذ البصيرة في معقولها، وافر الاطلاع علىٰ المنقول منها أقرأ وأفاد، وتخرَّجت عليه طبقات ممتازة في التحقيق العلمي"[٢٦].

---

(٢٥) أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر ابن عاشور في كتابه التحرير والتنوير، مشرف بن الزهراني، ١٤٢٦-١٤٢٧،ص:١٥ .العلامة المجدد محمد الطاهر ابن عاشور وأثره في الحفاظ علىٰ التراث العربي والاسلامي، أحمد عيساوي، مجلة آفاق الثقافة والتراث، دبي، العدد الثالث، ٢٠٠٣، ص: ١٠١-١٠٢ . الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، طبعة: ١٥، ٢٠٠٢، ج: ٦، ص: ١٧٤

(٢٦) مقدمة الكشف المغطىٰ من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، محمد الطاهر ابن عاشور، تحقيق طه بن علي التونسي، دار السلام، القاهرة، طبعة ١، ٢٠٠٦م،ص:١٠

فقد ترك آثار علمية ومصنفات قيمة ومنوعة منها(٢٧):

الْعُلُوم الإسلامية:

- التَّحْرِير والتنوير
- مَقَاصِد الشَّرِيعَة الإسلامية
- أصُول النظام الاجتماعي فِي الْإِسْلَام
- أَلَيْسَ الصُّبْح بقريب
- الْوَقْف وآثاره فِي الْإِسْلَام
- كشف الْمُعْطىٰ من الْمعَانِي والألفاظ الْوَاقِعَة فِي الْمُوَطَّأ
- قصَّة المولد
- حَوَاشِي علىٰ التَّنْقِيح لشهاب الدَّين الْقَرَافِيّ فِي أصُول الْفِقْه
- رد علىٰ كتاب الْإِسْلَام وأصول الحكم تأليف علىٰ عبد الرازق
- فَتَاوَىٰ ورسائل فقهية
- التَّوْضِيح والتصحيح فِي أصُول الْفِقْه
- النّظر الفسيح عِنْد مضايق الأنظار فِي الْجَامِع الصَّحِيح
- تَعْلِيق وَتَحْقِيق علىٰ شرح حَدِيث أم زرع
- قضايا شَرْعِيَّة وَأَحْكَام فقهية وآراء اجتهادية ومسائل علمية
- آمال علىٰ مُخْتَصر خَلِيل
- تعاليق علىٰ العلول وحاشية السياكوتي
- آمال علىٰ دَلَائِل الإعجاز
- أصُول التَّقَدُّم فِي الْإِسْلَام
- مراجعات تتَعَلَّق بكتابي: معجز أَحْمد واللامع للعزيزي

(٢٧) تحرير والتنوير، ج: ١، ص:

اللُّغَة الْعَرَبيَّة وآدابها:

- أصُول الْإِنْشَاء والخطابة
- موجز البلاغة
- شرح قصيدة الْأَعْشَىٰ
- تَحْقِيق ديوَان بشار
- الْوَاضِح فِي مشكلات المتنبي
- سرقات المتنبي
- شرح ديوَان الحماسة لأبي تَمام
- تَحْقِيق فَوَائِد العقيان لِلْفَتْحِ ابْن خاقَان مَعَ شرح ابْن زاكور
- ديوَان النَّابِغَة الذَّهَبِيّ
- تَحْقِيق "مُقَدّمَة فِي النَّحْو" لخلف الْأَحْمَر
- تراجم لبَعض الْأَعْلَام
- تَحْقِيق كتاب "الاقتضاب" للبطليوسي مَعَ شرح كتاب أدب الْكَاتِب
- جمع وَشرح ديوَان سحيم
- شرح معلقَة امْرِئ الْقَيْس
- تَحْقِيق لشرح الْقرشِي علىٰ ديوَان المتنبي
- غرائب الِاسْتِعْمَال
- تَصْحِيح وَتَعْلِيق علىٰ كتاب "النتصار" لِجَالِينُوسَ للحكيم ابْن زهر.

وَقد عدد الدكتور مُحَمَّد الحبيب بن الخوجة المجلات العلمية الَّتِي أسْهم فِيهَا الشَّيْخ مُحَمَّد الطَّاهِر ابْن عاشور، نذْكر مِنْهَا:

- السَّعَادَة الْعُظْمَىٰ
- الْمجلة الزيتونية

وَمن الصُّحُف والمجلات الشرقية:

- هدىٰ الْإِسْلَام
- نور الْإِسْلَام
- مِصْبَاح الشرق
- مجلة الْمنَار
- مجلة الْهِدَايَة الإسلامية
- مجلة مجمع اللُّغَة الْعَرَبيَّة بِالْقَاهِرَةِ
- مجلة الْمجمع العلمي بِدِمَشْق.

ثالثًا: وفاته:

توفي رحمه الله يوم الأحد١٣ رجب سنة ١٣٩٣ه -١٩٧٣ م بعدما عمر أفناه بين التدريس والبحث العلمي والتأليف[٢٨].

رابعًا: تفسير "التحرير والتنوير":

الاسم الكامل للتفسير هو "تحرير المعنىٰ السديد وتنوير العقل الجديد وتفسير الكتاب المجيد"؛ حيث قدم فيه عشر مقدمات خصص السادسة منها في القراءات محل دراسة هذه، عبَّر في بداية كتابه عن التمسك بالأثر واتباع أهل التأويل القدامىٰ والتعصب لهم، يعطل إعجاز القرآن وحصر حكمه، فقال: "أقدمت علىٰ هذا المهم إقدام الشجاع علىٰ وادي السباع، متوسطًا في معترك أنظار الناظرين، وزائرًا بين ضباح الزائرين، فجعلت حقًّا علي أن أبدي في تفسير القرآن نكتًا لم أر من سبقني إليها، وأن أقف موقف الحكم بين طوائف المفسرين تارة لها وآونة عليها، فإن الاقتصار علىٰ الحديث المعاد، تعطيل لفيض القرآن الذي ماله من نفاد، ولقد رأيت الناس حول كلام الأقدمين أحد

(٢٨) الأعلام، الزركلي، ص: ١٧٤.

رجلين: رجل معتكف فيما أشاده الأقدمون، وآخر آخذ بمعوله في هدم ما مضت عليه القرون، وفي كلتا الحالتين ضر كثير"[٢٩].

حيث اشتمل علىٰ معظم التفاسير التي كُتبت من قبل، وإنما يدل هذا علىٰ سعة اطلاعه وإلمامه بتخصصه فقال:" وإن أهم التفاسير تفسير "الكشاف" و"المحرر الوجيز" لابن عطية و"مفاتيح الغيب" لفخر الدين الرازي، و"تفسير البيضاوي" الملخص من "الكشاف" ومن "مفاتيح الغيب "بتحقيق بديع، و"تفسير الشهاب الألوسي"، وما كتبه الطيبي والقزويني والقطب والتفتازاني علىٰ "الكشاف"، وما كتبه الخفاجي علىٰ "تفسير البيضاوي" و"تفسير أبي السعود"، و"تفسير القرطبي" والموجود من "تفسير الشيخ محمد بن عرفة التونسي" من تقييد تلميذه الأبي وهو بكونه تعليقا علىٰ "تفسير ابن عطية" أشبه منه بالتفسير، لذلك لا يأتي علىٰ جميع آي القرآن، و"تفاسير الأحكام، وتفسير الإمام محمد ابن جرير الطبري"، وكتاب "درة التنزيل" المنسوب لفخر الدين الرازي، وربما ينسب للراغب الأصفهاني، ولقصد الاختصار أعرض عن العزو إليها".

وذكر في اتباع هذا أن تفسيره هذا ليس تكرار لغيره فقال: "وقد ميزت ما يفتح الله لي من فهم في معاني كتابه وما أجلبه من المسائل العلمية، مما لا يذكره المفسرون، وإنما حسبي في ذلك عدم عثوري عليه فيما بين يدي من التفاسير في تلك الآية خاصة، ولست أدعي انفرادي به في نفس الأمر، فكم من كلام تنشئه، تجدك قد سبقك إليه متكلم، وكم من فهم تستظهره وقد تقدمك إليه متفهم، وقديمًا قيل: هل غادر الشعراء من متردم".

ثم كشف بعد ذلك عن السبب الرئيسي في كتابة هذا الكتاب، وهو إبراز الجانب البلاغي في تفسير القرآن الكريم، وهو ما لم يخصه أحد قبله بهذا، فقال: "إن معاني القرآن ومقاصده ذات أفانين كثيرة بعيدة المدىٰ، مترامية الأطراف موزعة علىٰ آياته،

---

(٢٩) التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور،ج:١، ص: ٦-٧

فالأحكام مبينة في آيات الأحكام، والآداب في آياتها، والقصص في مواقعها، وربما اشتملت الآية الواحدة علىٰ فنين من ذلك أو أكثر، وقد نحا كثير من المفسرين بعض تلك الأفنان، ولكنَّ فنًّا من فنون القرآن لا تخلو عن دقائقه ونكته آية من آيات القرآن، وهو فنٌّ دقائق البلاغة هو الذي لم يخصه أحدٌ من المفسرين بكتاب كما خصوا الأفانين الأخرىٰ، من أجل ذلك التزمت ألا أغفل التنبيه علىٰ ما يلوح لي من هذا الفن العظيم في آية من آي القرآن، كلما ألهمته بحسب مبلغ الفهم وطاقة التدبر، وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال، واهتممت أيضًا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض"[٣٠].

(٣٠) التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور،ج:١، ص: ٦-٧

الفصل الثاني

نماذج من سورة الإسراء

المبحث الأول: النموذج الأول:

قوله تعالىٰ: ﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٧].

المتن من جامع البيان:

"يقول تعالىٰ ذكره لبني إسرائيل فيما قضىٰ إليهم في التوراة "إِنْ أَحْسَنْتُمْ" يا بني إسرائيل، فأطعتم الله وأصلحتم أمركم، ولزمتم أمره ونهيه" أَحْسَنْتُمْ " وفعلتم ما فعلتم من ذلك" لأنْفُسِكُمْ" لأنَّكم إنما تنفعون بفعلتكم ما تفعلون من ذلك أنفسكم في الدنيا والآخرة. أما في الدنيا فإن الله يدفع عنكم من بغاكم سوءا، وينمي لكم أموالكم، ويزيدكم إلىٰ قوّتكم قوّة. وأما في الآخرة فإن الله تعالىٰ يثيبكم به جنانه "وإِنْ أَسَأْتُمْ "يقول: وإن عصيتم الله وركبتم ما نهاكم عنه حينئذ، فإلىٰ أنفسكم تسيئون، لأنكم تسخطون بذلك علىٰ أنفسكم ربكم، فيسلط عليكم في الدنيا عدوّكم، ويمكِّن منكم من بغاكم سوءا، ويخلدكم في الآخرة في العذاب المهين. وقال جلّ ثناؤه:" وَإِنْ أَسَأْتُمْ فلها" والمعنىٰ: فإليها كما قال "بأنَّ رَبَّكَ أوْحىٰ لَها" والمعنىٰ: أوحىٰ إليها.

وقوله: "فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ" يقول: فإذا جاء وعد المرّة الآخرة من مرّتي إفسادكم يا بني إسرائيل في الأرض" لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ" يقول: ليسوء مجيء ذلك الوعد للمرّة الآخرة وجوهكم فيقبِّحها.

وقد اختلف القراء في قراءة قوله:" لِيَسُوءُوا" وُجُوهَكُمْ فقرأ ذلك عامَّة قرّاء أهل المدينة والبصرة "لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ "بمعنىٰ: ليسوء العباد أولو البأس الشديد الذين

يبعثهم الله عليكم وجوهكم، واستشهد قارئو ذلك لصحة قراءتهم كذلك بقوله: "وَلِيَدْخُلُوا المَسْجِدَ" وقالوا: ذلك خبر عن الجميع فكذلك الواجب أن يكون قوله) لِيَسُوءُوا وقرأ ذلك عامَّة قرّاء الكوفة) :لِيَسُوءَ وُجُوهَكُمْ (علىٰ التوحيد وبالياء، وقد يحتمل ذلك وجهين من التأويل، أحدهما ما قد ذكرت، والآخر منهما :ليسوء الله وجوهكم، فمن وجَّه تأويل ذلك إلىٰ ليسوء مجيء الوعد وجوهَكم، جعل جواب قوله فإذا محذوفًا، وقد استغني بما ظهر عنه، وذلك المحذوف" جاء"، فيكون الكلام تأويله: فإذا جاء وعد الآخرة ليسوء وجوهكم جاء، ومن وجَه تأويله إلىٰ: ليسوء الله وجوهكم، كان أيضًا في الكلام محذوف، قد استغني هنا عنه بما قد ظهر منه، غير أن ذلك المحذوف سوىٰ" جاء"، فيكون معنىٰ الكلام حينئذ: فإذا جاء وعد الآخرة بعثناهم ليسوء الله وجوهكم، فيكون المضمر بعثناهم، وذلك جواب إذا حينئذ، وقرأ ذلك بعض أهل العربية من الكوفيين: (لِنَسُوءَ وُجُوهَكُمْ) علىٰ وجه الخبر من الله تبارك وتعالىٰ اسمه عن نفسه، وكان مجيء وعد المرّة الآخرة عند قتلهم يحيىٰ، ذكر الرواية بذلك، والخبر عما جاءهم من عند الله حينئذ"[٣١].

المتن من التحرير والتنوير:

"وَقَدْ حَصَلَ بِهَذَا التَّفْرِيعِ إِيجَازٌ بَدِيعٌ قَضَاءً لِحَقِّ التَّقْسِيمِ الْأَوَّلِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴾ [الإسراء: ٥]، وَلِحَق إِفَادَةِ تَرَتُّبِ مَجِيءِ وَعْدِ الْآخِرَةِ عَلَىٰ الْإِسَاءَةِ، وَلَوْ عُطِفَ بِالْوَاوِ كَمَا هُوَ مُقْتَضَىٰ ظَاهِرِ التَّقْسِيمِ إِلىٰ مَرَّتَيْنِ فَاتَتْ إِفَادَةُ التَّرَتُّبِ وَالتَّفَرُّعِ.

والْآخِرَةِ صِفَةٌ لِمَحْذُوفٍ دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ :مَرَّتَيْنِ، أَيْ وَعْدُ الْمَرَّةِ الْآخِرَةِ.

وَهَذَا الْكَلَامُ مِنْ بَقِيَّةِ مَا قُضِيَ فِي الْكِتَابِ بِدَلِيلِ تَفْرِيعِهِ بِالْفَاءِ.

وَالْآخِرَةُ ضد الأولىٰ.

---

(٣١) جامع البيان،محمد بن جرير الطبري، دار إحياء الكتب العربية الحلبي، ج: ١٧، ص: ٨٧٢/ ٨٧٣

وَلَا مَاتَ» ليسوؤوا، وَلِيَدْخُلُوا، وَلِيُتَبِّرُوا «لِلتَّعْلِيلِ، وَلَيْسَتْ لِلْأَمْرِ لِاتِّفَاقِ الْقِرَاءَاتِ الْمَشْهُورَةِ عَلَىٰ كَسْرِ اللَّامَيْنِ الثَّانِي وَالثَّالِثِ، وَلَوْ كَانَا لَامَيْ أَمْرٍ لَكَانَا سَاكِنَيْنِ بَعْدَ وَاوِ الْعَطْفِ، فَيَتَعَيَّنُ أَن اللَّام الأول لَامُ أَمْرٍ) ١ (لَا لَامُ جَرٍّ. وَالتَّقْدِيرُ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ بَعَثْنَا عبادا لنا ليسوؤا وُجُوهَكُمْ إِلَخْ.

وَقَرَأَ نَافِعٌ، وَابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَحَفْصٌ، وَأَبُو جَعْفَر، وَيَعْقُوب لِيَسُوؤُا بِضَمِيرِ الْجَمْعِ مِثْلَ أَخَوَاتِهِ الْأَفْعَالِ الْأَرْبَعَةِ .وَالضَّمَائِرُ رَاجِعَةٌ إِلىٰ مَحْذُوفٍ دَلَّ عَلَيْهِ لَامُ التَّعْلِيلِ فِي قَوْله: ﴿ لِيَسُوؤُا ﴾ إِذْ هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ فِي: ﴿ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِبادًا لَنا ﴾ [الإسراء: ٥]، فَالتَّقْدِيرُ :فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عبادا لنا ليسوؤوا وُجُوهَكُمْ .وَلَيْسَتْ عَائِدَةً إِلىٰ قَوْلِهِ :عِبادًا لَنا الْمُصَرَّحِ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِبادًا لَنا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الإسراء: ٥]، لِأَن الَّذين أساؤوا وَدَخَلُوا الْمَسْجِدَ هَذِهِ الْمَرَّةَ أُمَّةٌ غَيْرُ الَّذِينَ جَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ حَسَبَ شَهَادَةِ التَّارِيخِ وَأَقْوَالِ الْمُفَسِّرِينَ كَمَا سَيَأْتِي.

وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ، وَحَمْزَةُ، وَأَبُو بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ، وَخَلَفٍ لِيَسُوءَ بِالْإِفْرَادِ وَالضَّمِيرُ لِلَّهِ تَعَالَىٰ. وَقَرَأَ الْكِسَائِيُّ لِنَسُوءَ بِنُونِ الْعَظَمَةِ. وَتَوْجِيهُ هَاتَيْنِ الْقِرَاءَتَيْنِ مِنْ جِهَةِ مُوَافَقَةِ رَسْمِ الْمُصْحَفِ أَنَّ الْهَمْزَةَ الْمَفْتُوحَةَ بَعْدَ الْوَاوِ قَدْ تُرْسَمُ بِصُورَةِ أَلِفٍ، فَالرَّسْمُ يَسْمَحُ بِقِرَاءَةِ وَاوِ الْجَمَاعَةِ عَلَىٰ أَنْ يَكُونَ الْأَلِفُ أَلِفَ الْفَرْقِ وَبِقِرَاءَتَيِ الْإِفْرَادِ عَلَىٰ أَنَّ الْأَلِفَ عَلَامَةُ الْهَمْزَةِ.

وَضَمِيرَا "لِيَسُوءُوا وليدخلوا" عَائِدَانِ إِلىٰ عِبادًا لَنا [الإسراء: ٥] بِاعْتِبَارِ لَفْظِهِ لَا بِاعْتِبَار مَا صدق الْمَعَادِ، عَلَىٰ نَحْوِ قَوْلِهِمْ :عِنْدِي دِرْهَمٌ وَنِصْفُهُ، أَيْ نِصْفُ صَاحِبِ اسْمِ دِرْهَمٍ، وَذَلِكَ تَعْوِيلٌ عَلَىٰ الْقَرِينَةِ لِاقْتِضَاءِ السِّيَاقِ بُعْدَ الزَّمَنِ بَيْنَ الْمَرَّتَيْنِ :فَكَانَ هَذَا الْإِضْمَارُ مِنَ الْإِيجَازِ"[٣٢].

(٣٢) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية، تونس، ج:١٥، ص: ٣٤/ ٣٥

المطلب الأول: أوجه اختلاف القراءات:

أولًا: أوجه اختلاف القراءات من الطبري:

أما في توجيه القراءة ونسبتها لأهلها فقد أورد الإمام الطبري اختلاف القراء في "لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ" علىٰ قراءتين بقراءة عامة أهل المدينة والبصرة بالجمع، وقراءة عامة قراء الكوفة بالتوحيد وبالياء " لِيَسُوءَ وُجُوهَكُمْ" ثم أشار إلىٰ أن بعض أهل اللغة من الكوفيين قرئوا الآية بالتوحيد والنون بدل الياء "لِنَسُوءَ وُجُوهَكُمْ"

ثانيًا: أوجه اختلاف القراءات من التحرير والتنوير:

أما في توجيه القراءة وعزوها لقرائها فقد فصّل في ذلك الإمام الطاهر ابن عاشور بذكر أسماء القراء كلّ باسمه فنسب قراءة "ليسوءوا" لنافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص وأبو جعفر ويعقوب، أما قراءة" ليسوء" فنسبها لابن عامر وحمزة وأبو بكر عن عاصم وخلف، أما قراءة" لنسوء" فنسبها للكسائي.

ثالثًا: أوجه اختلاف القراءات المذكورة في الآية من كتب القراءات القرآنية:

الوجه الأول: "لِيَسُوءُوْا وُجوهَكُمْ":

نقل أبو عمرو الداني فقال: "قال الخزاعي عن أصحابه" ليسوؤا" علىٰ مثال ليسوغوا وهذه ترجمة صحيحة مروية وضم الهمزة وبعدها واو الجمع، فتحصل الهمزة بين واوين ساكنين"[٣٣]، وهي قراءة أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم في رواية المفضل، بالياء وضم الهمزة وإشباعها.

الوجه الثاني: "لِيَسُوءَ وُجُوهَكُمْ":

(٣٣) جامع البيان في القراءات السبع المشهورة، أبو عمرو الداني، تحقيق: محمد صدوق الجزائري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٥، ص:٥٩١

قرأ عاصم في رواية أبي بكر وابن عامر وحمزة: "لِيَسُوءَ" علىٰ واحد بالياء، وافقهم فيها الأعمش، وأضاف ابن الجزري خلف، وفي البذور الزاهرة الشامي وشعبة وهشام وأضاف أبو عمرو الداني حمّادا أما الكسائي فله قراءتين بالياء والأخرىٰ بالنون.

الوجه الثالث: "لِنَسُوءَ وُجُوهَكُمْ":

وجه للكسائي: "لنسوء" بالنون[٣٤].

المطلب الثاني: التوجيه النحوي واللغوي للقراءة:

أولًا: التوجيه النحوي واللغوي من جامع البيان:

استهل الإمام تفسير الآية بالتطرق إليها كلمة كلمة بتبيان المعنىٰ المقصود منها وربط المعاني ببعضها بذكر المخاطب، وهم بنو إسرائيل وتعاملهم مع توراة، وعلىٰ قدر فعلهم جاء جزاؤهم، سواء في الدنيا أو في الآخرة، وكله مردود إليهم بنفعه وشرِّه، معللًا ذلك أن "لها" تقوم مقام "إليها" مستشهدًا بقوله تعالىٰ: "﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ [الزلزلة: ٥]، "بمعنىٰ أوحىٰ إليها"، ثم سرد اختلاف القراء في قوله: "لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ" بعد تحديد معنىٰ الآية: "ليسوء مجيء ذلك الوعد للمرّة الآخرة وجوهكم فيقبِّحها".

---

[٣٤] المبسوط في القراءات العشر، أبي بكر الأصبهاني، تحقيق: حمزة حاكمي، مجمع اللغة العربية، دمشق، د ط، د ت، ص:٢٦٧. الحجة للقراء السبعة، ص:٨٥. حجة القراءات، ابن زنجلة: ٣٩٧.، الحجة في علل القراءات السبع، أبي علي الحسن الفارسي النحوي ص:٣٨٧. التبصرة في القراءات السبع، أبي محمد مكي بن أب طالب القرطبي ص:٥٦٧. تقريب النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ص:١٦١، الإقناع في القراءات السبع، أبي جعفر بن خلف الانصاري، تحقيق: عبد المجيد قطامش، الجزء الأول، الطبعة الأولىٰ:١٤٠٣، دار الفكر، دمشق، ص: ٦٨٥. البذور الزاهرة، عبد الفتاح القاضي، مكتبة أنس بن مالك، مكة، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٢، ص:٢٣٠، جامع البيان في القراءات السبع المشهورة، أبو عمرو الداني، ص:٥٩١،التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني، تصحيح أوتويرتزل، مطبعة الدولة:١٩٣٠ استانبول، ص:١٣٩. اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ص: ١٩٤

أولًا: الوجه الأول: " لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ":

قُرئت بالجمع والواو العائد علىٰ العباد المبعوثين لهؤلاء حتىٰ يوقعوا بهم الإساءة "بمعنىٰ: ليسوء العباد أولو البأس الشديد الذين يبعثهم الله عليكم وجوهكم" معللًا استشهاد من أخذ بهذا التوجيه لصحة قراءتهم من القرآن نفسه في قوله تعالىٰ: ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾، وأضاف تعليقًا آخر: "وقالوا: ذلك خبر عن الجميع، فكذلك الواجب أن يكون قوله: ﴿لِيَسُوءُوا﴾، بمعنىٰ أن الفعل مخبر عن نفسه

ثانيًا: الوجه الثاني " لِيَسُوءَ":

قُرئت علىٰ التوحيد وبالياء فرأىٰ الإمام أنها تحتمل وجهين في تأويلها:

أما الأول: حيث إنه أشار إلىٰ العباد المبعوثين إليهم للإساءة بهم في القراءة السابقة، وهنا الضمير مفرد، فهو عائد علىٰ الوعد بإرسال هذه الأمة عليهم في المرة الآخرة، فيستقيم بهذا المعنىٰ ويتفق مع القراءة الأولىٰ، وهو ما يتفق مع تأويله للآية: "فإذا جاء وعد الآخرة ليسوء وجوهكم جاء"، فكان التوجيه النحوي لها أن جواب إذا الشرطية محذوف تقديره "جاء"، فكان الاستغناء بما ظهر من الآية يجزي عن ذكره، فوعد الله يقين فإن جاء وقع لا محالة "فاستغني بما ظهر عنه".

أما الثاني: أن الضمير عائد علىٰ الله جل ذكره "ليسوء الله وجوهكم"، وتوجيه الإمام أن الكلام أيضًا فيه محذوف، فتقدير الكلام: "فإذا جاء وعد الآخرة بعثناهم ليسوء الله وجوهكم"، فجواب الشرط هنا غير التأويل الأول "جاء"، بل محذوف آخر هو "بعثناهم" العائدة علىٰ العباد الذين اختارهم الله مرسلين للإساءة لبني إسرائيل، فكان الفعل لله بتسخير عباده، فاستقام المعنىٰ بهذه القراءة، "فيكون المضمر بعثناهم، وذلك جواب إذا حينئذ".

ثالثًا: الوجه الثالث "لِنَسوءَ":

نسب هذه القراءة لبعض أهل العربية من الكوفيين، والنون عائدة علىٰ الله جل شأنه وهي نون العظمة، بمعنىٰ أن الله يخبر عن نفسه بنسبة الفعل اليه دون زيادة تعليق من الإمام.

ثانيًا: التوجيه النحوي واللغوي من التحرير والتنوير:

أشار الإمام الطاهر ابن عاشور إلىٰ بديع هذه الآية، فاستهل حديثه من نصف الآية لا من بدايتها، موضحًا أن ما جاء تتمة وتفريع عنها، وذكر تقدير الكلام بقوله: "إذ تقدير الكلام فإذا أسأتم وجاء وعد المرة الآخرة"، ثم أشار إلىٰ معنىٰ جميل حاصل بهذا التفريع وهو التقسيم ويمكن تلخيص معناه بالآتي:

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ ﴾، فجاءت الفاء لتفيد الترتيب، وعلل ذلك: "ولَوْ عُطِفَ بِالواوِ كَما هو مُقْتَضىٰ ظاهِرِ التَّقْسِيمِ إلىٰ مَرَّتَيْنِ فاتَتْ إفادَةُ التَّرَتُّبِ والتَّفَرُّعِ"، فكان لزومًا وعدان، وعد للأولىٰ ووعد للآخرة علىٰ الإساءة.

ثم عرض الإمام إلىٰ إعراب الآخرة: "أنها صفة لمحذوف دل عليه قوله مرّتين أي وعد المرة الآخرة"،

وبالتالي الآخرة صفة للمرَّة وليس للوعد.

وأشار إلىٰ أن: "الآخرة ضد الأولىٰ"، فكان كل ما هو المتعلق بالآخرة غير المتعلق بالأولىٰ، وهذا ما سيرد تفصيله اتباعًا، ثم عرض إلىٰ ذكر أوجه القراءات كلمة "لِيَسُوءُوا"، مع ذكر القراء وتوجيه كل قراءة علىٰ حدا.

أولًا: الوجه الأول:" ليسوءوا":

حيث جمعها مع "لِيَدْخُلُوا، ولِيُتَبِّرُوا"، وعلل اللامات أنها للتعليل وليست للأمر، مستشهدًا أولًا بالقراءات القرآنية: "باتفاق القراءات المشهورة علىٰ كسر اللامين الثاني والثالث"، بالتوجيه النحوي، فقال: "ولَوْ كانا لامَيْ أمْرٍ لَكانا ساكِنَيْنِ بَعْدَ واوِ العَطْفِ،

فَيَتَعَيَّنُ أنَّ اللّامَ الأُولىٰ لامُ أمْرٍ لا لامُ جَرٍّ، والتَّقْدِيرُ: فَإذا جاءَ وعْدُ الآخِرَةِ بَعَثْنا عِبادًا لَنا لِيَسُوءُوا وُجُوهَكم... إلَخْ".

ثم عرض إلىٰ إعراب كلمة "ليسوءوا" بعد عزوها لقرائها وخلاصة ذلك:

- الفعل من الأفعال الخمسة، وهنا حُذفت النون لكونه منصوب بأن المضمرة بعد لام التعليل "لِيَسُوءُوا بِضَمِيرِ الجَمْعِ مِثْلَ أخَواتِهِ الأفْعالِ الأرْبَعَةِ".

- واو الجماعة: ضمير متصل في محل رفع فاعل: "إذْ هو مُتَعَلِّقٌ بِما دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ في ﴿ وعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكم عِبادًا لَنا ﴾ [الإسراء: ٥].

- في هذا الموضع وضَّح الإمام نقطة مهمة في توجيه الآية بذكر لفظ "المُصَرَّحِ بِهِ"؛ حيث جعلها قيد يستبعد عن ذهن القارئ أن يكون الخطاب عائدًا علىٰ منطوق الآية المتقدمة ﴿ وعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكم عِبادًا لَنا ﴾ [الإسراء: ٥]، بل ردَّه إلىٰ المفهوم الآية ﴿ فَإذَا جَاءَ وَعدُ الآخِرَةِ لِيَسُوا وُجُوهَكُم ﴾ مستدلًّا علىٰ ذلك بشهادة التاريخ وأقوال المفسرين في ذلك، فالتَّقْدِيرُ: فَإذا جاءَ وعْدُ الآخِرَةِ بَعَثْنا عَلَيْكم عِبادًا لَنا لِيَسُوءُوا وُجُوهَكم، ولَيْسَتْ عائِدَةً إلىٰ قَوْلِهِ عِبادًا لَنا المُصَرَّحِ بِهِ في قَوْلِهِ فَإذا جاءَ وعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكم عِبادًا لَنا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ؛ لِأنَّ الَّذِينَ أساءُوا، ودَخَلُوا المَسْجِدَ هَذِهِ المَرَّةَ أُمَّةٌ غَيْرُ الَّذِينَ جاسُوا خِلالَ الدِّيارِ حَسَبَ شَهادَةِ التّارِيخِ، وأقْوالِ المُفَسِّرِينَ كَما سَيَأْتِي".

- "وضَمِيرًا (لِيَسُوءُوا) و(لِيُدْخِلُوا) عائِدانِ إلىٰ عِبادًا لَنا بِاعْتِبارِ لَفْظِهِ لا بِاعْتِبارِ ما صَدَقِ المَعادِ، عَلىٰ نَحْوِ قَوْلِهِمْ: عِنْدِي دِرْهَمٌ ونِصْفُهُ، أيْ نِصْفُ صاحِبِ اسْمِ دِرْهَمٍ، وذَلِكَ تَعْوِيلٌ عَلىٰ القَرِينَةِ لِاقْتِضاءِ السِّياقِ بُعْدَ الزَّمَنِ بَيْنَ المَرَّتَيْنِ: فَكانَ هَذا الإضْمارُ مِنَ الإيجازِ".

- فالإضمار غير الإيجاز: "الإيجاز عبارة عن اللفظ القليل الجامع للمعاني الجمَّة بنفسه، أما الإضمار، فمن شرطه بقاء أثر المقدَّر في اللفظ بمعنىٰ مخفىٰ"[٣٥]، وهذا ما يتضح من سياق الآية، وكذا علىٰ حسب سياق الآية المعنىٰ يختلف، فهنا البعد بين فترة الإساءة وفترة دخول المسجد، توحي إلىٰ أن العباد في الفترة الأولىٰ غير الثانية، وضَمِيرُ ﴿كَما دَخَلُوهُ﴾ عائِدٌ إلىٰ العِبادِ المَذْكُورِ في ذِكْرِ المَرَّةِ الأُولىٰ بِقَرِينَةِ اقْتِضاءِ المَعْنىٰ مَراجِعَ الضَّمائِرِ؛ كَقَوْلِهِ تَعالىٰ: ﴿ وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ﴾ [الروم: ٩]، فكان دخولهم المسجد هذه المرة غزوًا له بقرينة التشبيه "كَما دَخَلُوهُ أوَّلَ مَرَّةٍ".

ثانيًا: الوجه الثاني "لِيَسُوءَ":

- ﴿ لِيَسُوءَ وُجُوهَكُمْ ﴾ بعد عزو القراءة لقرَّائها، وتبيان أن القراءة بالإفراد ذكر أن الفاعل ضمير مستتر عائد علىٰ الله تعالىٰ: "والضَّمِيرُ لِلَّهِ تَعالىٰ".

- هنا الإمام لم يستطرد ولم يعلق علىٰ المعنىٰ لوضوح دلالته في أن المولىٰ عز وجل بقدرته تعالىٰ من يسلط عليهم أسباب المساءة.

ثالثًا: الوجه الثالث "لِنَسوءَ":

- ﴿ لِنَسُوءَ وُجُوهَكُمْ ﴾؛ حيث انفرد بهذه القراءة الإمام الكسائي وقرأها بنون العظمة، ثم استدل علىٰ توجيه القراءتين لموافقتهما رسم المصحف "أنَّ الهَمْزَةَ المَفْتُوحَةَ بَعْدَ الواوِ قَدْ تُرْسَمُ بِصُورَةِ ألْفٍ، فالرَّسْمُ يَسْمَحُ بِقِراءَةِ واوِ الجَماعَةِ عَلىٰ أنْ يَكُونَ الألِفُ ألِفَ الفَرْقِ وبِقِراءَتَيِ الإفْرادِ عَلىٰ أنَّ الألِفَ عَلامَةُ الهَمْزَةِ".

---

(٣٥) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولىٰ:١٩٥٧، دار أحياء الكتب، بيروت، لبنان، ج:٣، ص:١٠٢

ثالثًا: التوجيه النحوي واللغوي من كتب توجيه القراءات:

أولًا: الوجه الأول:" ليسوءوا".

- حجة القراء بالياء علىٰ الجمع أن الألف تدل عليه، فلو كانت ليسوء أو لنسوء، لم يكن فيها ألف.

- ارتباط الآية بالآية السابقة عنها: ﴿ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾ [الإسراء: ٤]، فلما جاء الوعد ببعثهم للمرة الأخيرة للإساءة بالوجوه، حذف الفعل "بعثناهم" فلا يكرر، وكونه جواب شرط فحذفه دالٌّ عليه.

- "وجوهكم" قد يراد بها ذوو الوجوه ومثيله في القرآن متعدد كآية: " ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص: ٨٨]، وقوله: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢]، وتخصيص الوجوه بذلك؛ لأنها تعبر عن ما في ذات الوجوه من أحزان ومسرات وغيرها.

- "ليسوءوا" فعل يتوسط فعلين "بعثنا عليكم عبادا"، "وليدخلوا المسجد"، فهو شبيه بهما كلاهما جاء بصيغة الجمع والمقصود بالمسجد بيت المقدس، فالتوجيه وفق معنىٰ الآية[٣٦]، ليسوء الرجال وأولو البأس الشديد وجوهكم، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة[٣٧].

- فالضمير هنا عائد علىٰ العباد أو النفير وهو موافق لقوله تعالىٰ: "وليدخلوا"[٣٨].

ثانيًا: الوجه الثاني " لِيَسُوءَ":

- وهنا الضمير عائد علىٰ الوعد فالمعنىٰ: إذا جاء وعد المرة الآخرة ليسوء الوعد وجوهكم، ولأن "إذا" تستوجب جوابها فتقديره: فإذا جاء وعد الآخرة جاء ليسوء

---

(٣٦) الحجة للقراء السبع، ص: ٨٦. حجة القراءات، ابن زنجلة، ص: ٣٩٧

(٣٧) معاني القراءات، ص:٨٧

(٣٨) اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ص: ١٩٤

وجوهكم وأيضًا يجوز أن يكون عائدا علىٰ العذاب كما يجوز أن يكون عائد علىٰ الله جل شأنه غير أنه هنا الكلام المحذوف ليس "جاء" وإنما: فإذا جاء وعد الآخرة بعثناهم ليسوء الله وجوهكم [٣٩]

ثالثًا: الوجه الثالث "لِنَسوءَ":

الفعل منصوب بأن المضمرة بعد لام كي، والنون للعظمة من فعل الله، بمعنىٰ: لنسوء نحن وجوهكم، وذلك جزاء سوء عملكم، وهو من باب اخبار المولىٰ عن نفسه جل وعلا، وأيضًا فإن الفعل جاء في سياق مجموعة أفعال تعود بضمائرها علىٰ الجمع "بعثنا، رددنا، عدتم، أعتدنا"، فحكم ما توسطها أن يجري علىٰ لفظهما، وذلك أولىٰ من نسبته للعباد، فإذا قرئ بالنون اشتمل المعاني كلها، وهذا عينُ الحقيقة فلا فاعل سوىٰ الله وإن تعددت المسببات، فيجوز معنىٰ إساءة الوجوه بالوعد كما تجوز بالعباد[٤٠].

التعقيب:

- بعد التعرض لكتب توجيه القراءات نجد القراءة بالياء علىٰ الجمع "ليسوؤوا" الأكثر ترجيحًا واختيارًا، وذلك:

- أنها قراءة الأكثرين من القراء السبعة، فهي أقوىٰ سندًا.

- الواو ضمير متصل لا تحتاج إلىٰ تأويل أو تقدير بخلاف باقي القراءات، فهو من هذا الباب أشد بيانًا ودلالة، "واو الجمع لورش فيه ثلاثة البدل ولحمزة في الوقف عليه، وكذا هشام النقل والإدغام لأصالة الواو"[٤١].

---

(٣٩) معاني القراءات، ص:٨٧. اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ص: ١٩٤. حجة القراءات، ابن زنجلة: ص:٣٩٨

(٤٠) معاني القراءات: ص: ٨٧. حجة القراءات، ابن زنجلة، ص:٣٩٨

(٤١) البذور الزاهرة، ص:٢٣٠،

- صحة المعنىٰ وتوافقه مع التوجيهات: "وكل الوجوه جائزة والاختيار عندي ليسوؤوا بالجمع لأنه عطف عليه وليدخلوا المسجد"[٤٢]، وأيضًا: "فجاسوا خلال الديار"، فالفئة التي أخبر عنها المولىٰ من المفسدين في المرة الأولىٰ هم نفس الفئة لمخبر عنها بالفساد والتتبير، فكلا التوجيهين يتوافق مع سياق الآية ومعناها؛ مما يقوي هذه القراءة شرحا ودلالة وتفسيرًا[٤٣].

المطلب الثالث: منهج الإمامين في تفسير وتوجيه القراءة:

أولًا: منهج الإمام الطبري في الاحتجاج للقراءات وتوجيهها:

قسم الإمام الآية إلىٰ أجزاء وأورد لكل جزء معناه مفردة مفردة، مع ربط المعاني ببعضها البعض، وإيراد الجانب اللغوي والنحوي والتدليل عليه:

ذكر الإمام الأوجه الثلاث للآية وهي قراءات متواترة دون ذكر أسامي القراء أو رواتهم، وإنما نسبها للأمصار.

التعليل بقول أهل اللغة في توجيه القراءة.

اعتماد وجوه الإعراب الصحيحة في توجيه القراءة.

التعليل بذكر الروايات من جماع أحاديث بني إسرائيل.

استعرض مع كل قراءة التفسير والمعنىٰ الاجمالي لها.

وذكر موافقته لقول أهل التأويل في معنىٰ الآية بلفظ: "بنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل"، عدم ترجيحه لوجه من وجوه القراءات المذكورة في الآية.

ثانيًا: منهج الإمام الطاهر ابن عاشور في الاحتجاج للقراءات وتوجيهها:

---

(٤٢) معاني القراءات: ص: ٨٧

(٤٣) أوجه اختلاف القراءات وآثاره توجيهها نماذج من سورة الاسراء، عدنان بن عبد الرزاق الحموي العليي، مجلة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، العدد ٢٣، ٢٠٠٥، جامعة قطر، ص: ٢٤

عنون الإمام مقدمته السادسة بـ: القراءات؛ حيث وضَّح أنواع القراءات التي قدمها في تفسيره ومنهجه في نسبة القراءة لأهلها وضوابط قبول القراءة، وقواعد ترجيحه، واختياره في القراءات ومنهجه فيها، ويمكن تلخيص هذا في النقاط التالية:

الاقتصار علىٰ القراءات العشر المتواترة.

البدء بقراءة الإمام نافع برواية قالون علىٰ رأس القراءات في استعراضه لأوجه الاختلاف بين القراء.

ذكر القراءات التي توافق رسم المصحف العثماني والاحتجاج به.

التوسع في ذكر القراءات العشر ونسبتها إلىٰ قرائها ورواتها.

عدم التطرق للقراءات الشاذة.

شروط قبول الرواية صحة السند وموافقه رسم المصحف وموافقة وجه من وجوه العربية.

ذكر الجانب النحوي وتذليله بالتعليل لبيان المعنىٰ المراد من الآية.

اعتماد وجوه الإعراب المتواترة الصحيحة في العربية لبيان المعنىٰ وتوجيه القراءة.

احتجاجه باللغة الفصحىٰ في ترجيح الأكثر البلاغة أو الفصاحة أو كثرة المعاني أو الشهرة.

عدم التعرض للاختلافات بين القراء في هيئة النطق بالحروف: التي ليس لها أثر في اختلاف معنىٰ الآية...

توجيه القراءة بالحديث النبوي والآثار الصحيحة.

الشاهد علىٰ صحة التعليل النحوي للقراءة اتفاق القراءات المشهورة.

ضابط قبول الرواية موافقة رسم المصحف.

من أدوات التوجيه اعتبار شهادة التاريخ وأقوال المفسرين.

الاحتجاج بالشعر في توجيه القراءات.

الاحتجاج بلهجات القبائل المختلفة وأقوال الأئمة واللغة والنحو[٤٤].

منهج الإمام في توجيه الآية الثامنة من سورة الإسراء:

بدأ الإمام بقراءة الإمام نافع برواية قالون علىٰ رأس القراءات في استعراضه لأوجه الاختلاف بين القراء ثم ذكر القراءات التي توافق رسم المصحف العثماني وتوسع في ذكر القراءات العشر ونسبتها إلىٰ قرائها ورواتها، كما استعرض التوسع اوجه الإعراب الصحيحة من اللغة العربية في التعليل النحوي لكل قراءة علىٰ حدا وفي هذا الموضع لم يرجح بين وجوه هذه القراءات كما أنه احتج بالشعر في التوجيه والتعليل، إضافة إلىٰ اعتبار شهادة التاريخ وأقوال المفسرين وبهذا شرح الآية دون تجزئتها إلىٰ أجزاء مع ذكر المعاني اللغوية للكلمات التي تحتاج إلىٰ بيان: سوء، حصير...

ملاحظة: لم يخرج الإمام عن المنهج العام الذي وضعه في توجيهه للقراءات بصفة عامة.

النموذج الثاني: "يَلقَاهُ":

﴿ وَكُلَّ إِنسان أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤].

المتن من جامع البيان:

يقول تعالىٰ ذكره: وكلّ إنسان ألزمناه ما قضىٰ له أنه عامله، وهو صائر إليه من شقاء أو سعادة بعمله في عنقه لا يفارقه، وإنما قوله ﴿أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ﴾ مثل لما كانت العرب تتفاءل به أو تتشاءم من سوانح الطير وبوارحها، فأعلمهم جلّ ثناؤه أن كلّ إنسان منهم

(٤٤) التحرير والتنوير،ج١، ص:٥٢

قد ألزمه ربه طائره في عنقه نحسا كان ذلك الذي ألزمه من الطائر، وشقاء يورده سعيرا، أو كان سعدا يورده جنات عدن.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل * .ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن بشار، قال: ثنا معاذ بن هشام، قال: ثني أبي، عن قتادة، عن جابر بن عبد الله أن نبيّ الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: "لا عَدْوَىٰ وَلا طِيَرَةَ وكُلَّ إنسان أَلْزَمْناهُ طائِرَه فِي عُنُقِهِ."

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثنىٰ أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿وَكُلَّ إنسان أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ قال: الطائر: عمله، قال: والطائر في أشياء كثيرة، فمنه التشاؤم الذي يتشاءم به الناس بعضهم من بعض.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عطاء الخراساني عن ابن عباس، قوله ﴿وَكُلَّ إنسان أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ قال: عمله وما قدر عليه، فهو ملازمه أينما كان، فزائل معه أينما زال. قال ابن جريج: وقال: طائره: عمله، قال: ابن جريج: وأخبرني عبد الله بن كثير، عن مجاهد، قال: عمله وما كتب الله له.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسىٰ؛ وحدثني الحرث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: طائره: عمله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان؛ وحدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو جميعا عن منصور، عن مجاهد ﴿وَكُلَّ إنسان أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ قال: عمله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، مثله.

حدثني واصل بن عبد الأعلىٰ، قال: ثنا ابن فضيل، عن الحسن بن عمرو الفقيمي، عن الحكم، عن مجاهد، في قوله ﴿وَكُلَّ إنسان أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ قال: ما من

مولود يولد إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقيّ أو سعيد. قال: وسمعته يقول: أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب، قال: هو ما سبق.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿وَكُلَّ إنسان أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾: إي والله بسعادته وشقائه بعمله.

حدثنا ابن عبد الأعلىٰ، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: طائره: عمله.

فإن قال قائل: وكيف قال: ألزمناه طائره في عنقه إن كان الأمر علىٰ ما وصفت، ولم يقل: ألزمناه في يديه ورجليه أو غير ذلك من أعضاء الجسد؟ قيل: لأن العنق هو موضع السمات، وموضع القلائد والأطوقة، وغير ذلك مما يزين أو يشين، فجرىٰ كلام العرب بنسبة الأشياء اللازمة بني آدم وغيرهم من ذلك إلىٰ أعناقهم وكثر استعمالهم ذلك حتىٰ أضافوا الأشياء اللازمة سائر الأبدان إلىٰ الأعناق، كما أضافوا جنايات أعضاء الأبدان إلىٰ اليد، فقالوا: ذلك بما كسبت يداه، وإن كان الذي جرّ عليه لسانه أو فرجه، فكذلك قوله ﴿أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ فقرأه بعض أهل المدينة ومكة، وهو نافع وابن كثير وعامة قرّاء العراق ﴿ونُخْرِجُ﴾ بالنون ﴿لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ بفتح الياء من يَلْقاه وتخفيف القاف منه، بمعنىٰ: ونخرج له نحن يوم القيامة ردّا علىٰ قوله ﴿أَلْزَمْناهُ﴾، ونحن نخرج له يوم القيامة كتاب عمله منشورا، وكان بعض قرّاء أهل الشام يوافق هؤلاء علىٰ قراءة قوله ﴿ونُخْرِجُ﴾ ويخالفهم في قوله ﴿يَلْقاهُ﴾ فيقرؤه ﴿ويُلَقَّاهُ﴾ بضم الياء وتشديد القاف، بمعنىٰ: ونخرج له نحن يوم القيامة كتابا يلقاه، ثم يردّه إلىٰ ما لم يسمّ فاعله، فيقول: يلقىٰ الإنسان ذلك الكتاب منشورا.

وذُكر عن مجاهد ما-:

حدثنا أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا يزيد، عن جرير بن حازم عن حميد، عن مجاهد أنه قرأها ﴿وَيخْرَجُ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ كِتابا﴾ قال: يزيد: يعني يخرج الطائر كتابا، هكذا أحسبه قرأها بفتح الياء، وهي قراءة الحسن البصري وابن محيصن؛ وكأن من قرأ هذه القراءة وجَّه تأويل الكلام إلىٰ: ويخرج له الطائر الذي ألزمناه عنق الإنسان يوم القيامة، فيصير كتابا يقرؤه منشورا. وقرأ ذلك بعض أهل المدينة : ﴿ويُخرَجُ لَهُ﴾ بضم الياء علىٰ مذهب ما لم يسمّ فاعله، وكأنه وجَّه معنىٰ الكلام إلىٰ ويخرج له الطائر يوم القيامة كتابا، يريد: ويخرج الله ذلك الطائر قد صيره كتابا، إلا أنه نحاه نحو ما لم يسمَّ فاعله.

وأولىٰ القراءات في ذلك بالصواب، قراءة من قرأه ﴿ونُخْرِجُ﴾ بالنون وضمها ﴿لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ بفتح الياء وتخفيف القاف، لأن الخبر جرىٰ قبل ذلك عن الله تعالىٰ أنه الذي ألزم خلقه ما ألزم من ذلك؛ فالصواب أن يكون الذي يليه خبرا عنه، أنه هو الذي يخرجه لهم يوم القيامة، أن يكون بالنون كما كان الخبر الذي قبله بالنون، وأما قوله ﴿يَلقاهُ﴾، فإن في إجماع الحجة من القرَّاء علىٰ تصويب ما اخترنا من القراءة في ذلك، وشذوذ ما خالفه الحجة الكافية لنا علىٰ تقارب معنىٰ القراءتين: أعني ضمَّ الياء وفتحها في ذلك، وتشديد القاف وتخفيفها فيه؛ فإذا كان الصواب في القراءة هو ما اخترنا بالذي عليه دللنا، فتأويل الكلام: وكلّ إنسان منكم يا معشر بني آدم، ألزمناه نحسه وسعد، وشقاءه وسعادته، بما سبق له في علمنا أنه صائر إليه، وعامل من الخير والشرّ في عنقه، فلا يجاوز في شيء من أعماله ما قضينا عليه أنه عامله، وما كتبنا له أنه صائر إليه، ونحن نخرج له إذا وافانا كتابا يصادفه منشورا بأعماله التي عملها في الدنيا، وبطائره الذي كتبنا له، وألزمناه إياه في عنقه، قد أحصىٰ عليه ربه فيه كلّ ما سلف في الدنيا.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل * .ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ قال: هو عمله الذي عمل أحصي عليه، فأخرج له يوم القيامة ما كتب عليه من العمل يلقاه منشورًا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾: أي عمله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عن قتادة ﴿أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ قال: عمله ﴿ونُخْرِجُ لَهُ﴾ قال: نخرج ذلك العمل ﴿كِتابا يَلقاهُ مَنْشُورًا﴾ قال معمر: وتلا الحسن ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ يا ابن آدم بسطت لك صحيفتك، ووكل بك ملَكان كريمان، أحدهما عن يمينك، والآخر عن يسارك. فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت، أقلل أو أكثر، حتىٰ إذا متّ طُويت صحيفتك، فجعلت في عنقك معك في قبرك، حتىٰ تخرج يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ قد عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك.

حدثنا ابن عبد الأعلىٰ، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: طائره: عمله، ونخرج له بذلك العمل كتابا يلقاه منشورًا.

وقد كان بعض أهل العربية يتأوّل قوله ﴿وَكُلَّ إنسان أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾: أي حظه من قولهم: طار سهم فلان بكذا: إذا خرج سهمه علىٰ نصيب من الأنصباء، وذلك وإن كان قولًا له وجه، فإن تأويل أهل التأويل علىٰ ما قد بيَّنت، وغير جائز أن يتجاوز في تأويل القرآن ما قالوه إلىٰ غيره، علىٰ أن ما قاله هذا القائل، إن كان عنىٰ بقوله حظه من العمل والشقاء والسعادة، فلم يبعد معنىٰ قوله من معنىٰ قولهم.

المتن من التحرير والتنوير:

﴿وكُلَّ إنسان أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ في عُنُقِهِ ونُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ كِتابًا يَلْقاهُ مَنشُورًا﴾ ﴿اقْرَأْ كِتابَكَ كَفىٰ بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾

لَمّا كانَ سِياقُ الكَلامِ جارِيًا في طَرِيقِ التَّرْغِيبِ في العَمَلِ الصّالِحِ والتَّحْذِيرِ مِنَ الكُفْرِ والسَّيِّئاتِ ابْتِداءً مِن قَوْلِهِ تَعالىٰ ﴿إنَّ هَذا القُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هي أقْوَمُ ويُبَشِّرُ المُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٩] إلىٰ قَوْلِهِ تَعالىٰ ﴿عَذابًا أليمًا﴾ [الإسراء: ١٠]، وما عَقَّبَهُ مِمّا يَتَعَلَّقُ بِالبِشارَةِ والنِّذارَةِ، وما أُدْمِجَ في خِلالِ ذَلِكَ مِنَ التَّذْكِيرِ ثَمَّ بِما دَلَّ عَلىٰ أنَّ عِلْمَ اللهِ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ تَفْصِيلًا، وكانَ أهَمُّ الأشْياءِ في هَذا المَقامِ إحاطَةَ عِلْمِهِ بِالأعْمالِ كُلِّها، فَأعْقَبَ ذِكْرَ ما فَصَّلَهُ اللهُ مِنَ الأشْياءِ بِالتَّنْبِيهِ عَلىٰ تَفْصِيلِ أعْمالِ النّاسِ تَفْصِيلًا لا يَقْبَلُ الشَّكَّ ولا الإخْفاءَ، وهو التَّفْصِيلُ المُشابِهُ لِلتَّقْيِيدِ بِالكِتابَةِ، فَعَطْفُ قَوْلِهِ وكُلَّ إنسان إلَخْ عَلىٰ قَوْلِهِ ﴿وكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْناهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: ١٢] عَطْفٌ خاصٌّ عَلىٰ عامٍّ؛ لِلِاهْتِمامِ بِهَذا الخاصِّ.

والمَعْنىٰ: وكُلَّ إنسان قَدَّرْنا لَهُ عَمَلَهُ في عَمَلِنا فَهو عامِلٌ بِهِ لا مَحالَةَ، وهَذا مِن أحْوالِ الدُّنْيا.

والطّائِرُ: أُطْلِقَ عَلىٰ السَّهْمِ، أوِ القِرْطاسِ الَّذِي يُعَيَّنُ فِيهِ صاحِبُ الحَظِّ في عَطاءٍ أوْ قُرْعَةٍ لِقِسْمَةٍ أوْ أعْشارِ جَزُورِ المَيْسِرِ، يُقالُ: اقْتَسَمُوا الأرْضَ فَطارَ لِفُلانٍ كَذا، ومِنهُ قَوْلُ أُمِّ العَلاءِ الأنْصارِيَّةِ في حَدِيثِ الهِجْرَةِ: اقْتَسَمَ الأنْصارُ المُهاجِرِينَ فَطارَ لَنا عُثْمانُ بْنُ مَظْعُونٍ... وذَكَرَتْ قِصَّةَ وفاتِهِ.

وأصْلُ إطْلاقِ الطّائِرِ عَلىٰ هَذا: إمّا لِأنَّهم كانُوا يَرْمُونَ السِّهامَ المَرْقُومَةَ بِأسْماءِ المُتَقاسِمِينَ عَلىٰ صُبَرِ الشَّيْءِ المَقْسُومِ المُعَدَّةِ لِلتَّوْزِيعِ، فَكُلُّ مَن وقَعَ السَّهْمُ المَرْقُومُ بِاسْمِهِ عَلىٰ شَيْءٍ أخَذَهُ، وكانُوا يُطْلِقُونَ عَلىٰ رَمْيِ السَّهْمِ فِعْلَ الطَّيَرانِ؛ لِأنَّهم يَجْعَلُونَ لِلسَّهْمِ رِيشًا في قُذَذِهِ؛ لِيَخِفَّ بِهِ اخْتِراقُهُ الهَواءَ عِنْدَ رَمْيِهِ مِنَ القَوْسِ، فالطّائِرُ هُنا أُطْلِقَ عَلىٰ الحَظِّ مِنَ العَمَلِ مِثْلَ ما يُطْلَقُ اسْمُ السَّهْمِ عَلىٰ حَظِّ الإنسان مِن شَيْءٍ ما.

وإمّا مِن زَجْرِ الطَّيْرِ لِمَعْرِفَةِ بَخْتٍ أوْ شُؤْمِ الزّاجِرِ مِن حالَةِ الطَّيْرِ الَّتِي تَعْتَرِضُهُ في طَرِيقِهِ، والأكْثَرُ أنْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ في أسْفارِهِمْ، وشاعَ ذَلِكَ في الكَلامِ فَأُطْلِقَ الطّائِرُ عَلىٰ حَظِّ الإنسان مِن خَيْرٍ أوْ شَرٍّ.

والإلزام: جَعَلَهُ لازِمًا لَهُ، أيْ غَيْرَ مُفارِقٍ، يُقالُ: لَزِمَهُ إذا لَمْ يُفارِقْهُ.

وقَوْلُهُ) ﴿فِي عُنُقِهِ﴾ (يَجُوزُ أنْ يَكُونَ كِنايَةً عَنِ المُلازَمَةِ والقُرْبِ، أيْ عَمَلُهُ لازِمٌ لَهُ لُزُومَ القِلادَةِ، ومِنهُ قَوْلُ العَرَبِ تُقَلِّدُها طَوْقَ الحَمامَةِ، فَلِذَلِكَ خُصَّتْ بِالعُنُقِ؛ لِأنَّ القِلادَةَ تُوضَعُ في عُنُقِ المَرْأةِ، ومِنهُ قَوْلُ الأعْشىٰ :

والشِّعْرُ قَلَّدْتُهُ سَلامَةَ ذا فائِشٍ والشَّيْءُ حَيْثُما جُعِلا

ويُحْتَمَلُ أنْ يَكُونَ تَمْثِيلًا لِحالَةٍ لَعَلَّها كانَتْ مَعْرُوفَةً عِنْدَ العَرَبِ وهي وضْعُ عَلاماتٍ تُعَلَّقُ في الرِّقابِ لِلَّذِينَ يُعَيَّنُونَ لِعَمَلٍ ما أوْ لِيُؤْخَذَ مِنهم شَيْءٌ، وقَدْ كانَ في الإسْلامِ يُجْعَلُ ذَلِكَ لِأهْلِ الذِّمَّةِ، كَما قالَ بَشَّار:

كَتَبَ الحُبُّ لَها في عُنُقِي * مَوْضِعَ الخاتَمِ مِن أهْلِ الذِّمَمِ**

ويَجُوزُ أنْ يَكُونَ في عُنُقِهِ تَمْثِيلًا بِالبَعِيرِ الَّذِي يُوسَمُ في عُنُقِهِ بِسِمَةٍ؛ كَيْلا يَخْتَلِطَ بِغَيْرِهِ، أوِ الَّذِي يُوضَعُ في عُنُقِهِ جَلْجَلٌ لِكَيْلا يَضِلَّ عَنْ صاحِبِهِ.

والمَعْنىٰ عَلىٰ الجَمِيعِ أنَّ كُلَّ إنسان يُعامَلُ بِعَمَلِهِ مِن خَيْرٍ أوْ شَرٍّ لا يَنْقُصُ لَهُ مِنهُ شَيْءٌ، وهَذا غَيْرُ كِتابَةِ الأعْمالِ الَّتِي سَتُذْكَرُ عَقِبَ هَذا بِقَوْلِهِ ﴿ونُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ كِتابًا﴾... الآيَةَ.

وعَطْفُ جُمْلَةِ) ﴿ونُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ كِتابًا﴾ (إخْبارٌ عَنْ كَوْنِ تِلْكَ الأعْمالِ المُعَبَّرِ عَنْها بِالطّائِرِ تَظْهَرُ يَوْمَ القِيامَةِ مُفَصَّلَةً مُعَيَّنَةً لا تُغادَرُ مِنها صَغِيرَةٌ ولا كَبِيرَةٌ إلّا أُحْصِيَتْ لِلْجَزاءِ عَلَيْها.

وقَرَأ الجُمْهُورُ (ونُخْرِجُ) بِنُونِ العَظَمَةِ وبِكَسْرِ الرّاءِ، وقَرَأهُ يَعْقُوبُ بِياءِ الغَيْبَةِ، وكَسْرِ الرّاءِ، والضَّمِيرُ عائِدٌ إلىٰ اللهِ المَعْلُومِ مِنَ المَقامِ، وهو التِفاتٌ، وقَرَأهُ أبُو جَعْفَرٍ بِياءِ الغَيْبَةِ في أوَّلِهِ مَبْنِيًّا لِلنّائِبِ عَلىٰ أنَّ لَهُ نائِبَ فاعِلٍ وكِتابًا مَنصُوبًا عَلىٰ المَفْعُولِيَّةِ، وذَلِكَ جائِزٌ.

والكِتابُ: ما فِيهِ ذِكْرُ الأعْمالِ وإحْصاؤُها، والنَّشْرُ: ضِدُّ الطَّيِّ.

ومَعْنىٰ يَلْقاهُ يَجِدُهُ، اسْتُعِيرَ فِعْلُ يَلْقىٰ لِمَعْنىٰ يَجِدُ؛ تَشْبِيهًا لِوِجْدانِ النِّسْبَةِ بِلِقاءِ الشَّخْصِ، والنَّشْرُ كِنايَةٌ عَنْ سُرْعَةِ اطِّلاعِهِ عَلىٰ جَمِيعِ ما عَمِلَهُ بِحَيْثُ إنَّ الكِتابَ يَحْضُرُ مِن قَبْلِ وُصُولِ صاحِبِهِ مَفْتُوحًا لِلْمُطالَعَةِ.

وقَرَأ ابْنُ عامِرٍ، وأبُو جَعْفَرٍ (يُلَقّاهُ) بِضَمِّ الياءِ، وتَشْدِيدِ القافِ مَبْنِيًّا لِلْمَجْهُولِ عَلىٰ أنَّهُ مُضاعَفُ لَقِيَ تَضْعِيفًا لِلتَّعْدِيَةِ، أيْ يَجْعَلُهُ لاقِيًا كَقَوْلِهِ: ﴿ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾ [الإنسان: ١١]، وأُسْنِدَ إلىٰ المَفْعُولِ بِمَعْنىٰ يَجْعَلُهُ لاقِيًا، كَقَوْلِهِ: ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ [فصلت: ٣٥]، وقَوْلِهِ: ﴿ويُلَقَّوْنَ فِيها تَحِيَّةً وسَلامًا﴾ [الفرقان: ٧٥].

ونَشْرُ الكِتابِ إظْهارُهُ لِيُقْرَأ، قالَ تَعالىٰ وإذا الصُّحُفُ نُشِرَتْ.

وجُمْلَةُ اقْرَأْ كِتابَكَ مَقُولُ قَوْلٍ مَحْذُوفٍ دَلَّ عَلَيْهِ السِّياقُ.

والأمْرُ في اقْرَأْ مُسْتَعْمَلٌ في التَّسْخِيرِ، ومُكَنًّىٰ بِهِ عَنِ الإعْذارِ لَهم، والِاحْتِجاجِ عَلَيْهِمْ كَما دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿كَفىٰ بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾، ولِذَلِكَ كانَ مَعْرِفَةُ تِلْكَ الأعْمالِ مِن ذَلِكَ الكِتابِ حاصِلَةً لِلْقارِئِ.

والقِراءَةُ مُسْتَعْمَلَةٌ في مَعْرِفَةِ ما أُثْبِتَ لِلْإنسانِ مِنَ الأعْمالِ أوْ في فَهْمِ النُّقُوشِ المَخْصُوصَةِ إنْ كانَتْ هُنالِكَ نُقُوشٌ وهي خَوارِقُ عاداتٍ.

والباءُ في قَوْلِهِ بِنَفْسِكَ مَزِيدَةٌ لِلتَّأْكِيدِ داخِلَةٌ عَلىٰ فاعِلِ كَفىٰ كَما تَقَدَّمَ في قَوْلِهِ: ﴿ وَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٧٩]، في سُورَةِ النِّساءِ.

وانْتَصَبَ حَسِيبًا عَلىٰ التَّمْيِيزِ لِنِسْبَةِ الكِفايَةِ إلىٰ النَّفْسِ، أيْ مِن جِهَةِ حَسِيبٍ، والحَسِيبُ: فَعِيلٌ بِمَعْنىٰ فاعِلٍ مِثْلُ ضَرِيبِ القِداحِ بِمَعْنىٰ ضارِبِها، وصَرِيمٍ بِمَعْنىٰ

صارِمٍ، أي الحاسِبُ والضّابِطُ، وكَثُرَ وُرُودُ التَّمْيِيزِ بَعْدَ (كَفىٰ بِكَذا)، وعُدِّيَ بِ (عَلىٰ) لِتَضْمِينِهِ مَعْنىٰ الشَّهِيدِ، وما صَدَقَ النَّفْسِ هو الإنسان في قَوْلِهِ: ﴿وكُلَّ إنسان أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ﴾، فَلِذَلِكَ جاءَ حَسِيبًا بِصِيغَةِ التَّذْكِيرِ.

المطلب الأول: أوجه اختلاف القراءات في الآية:

أولًا: أوجه اختلاف القراءات في الآية من الطبري:

ذكر الإمام اختلاف القراء فيها فقال:

تفرَّد ابن كثير ونافع من أهل مكة والمدينة وعامة قراء العراق بقراءة الفعل بالنون: "ونُخْرِجُ"، وفتح ياء الفعل:" يَلْقَاهُ"، ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾، قرأ بعض قراء أهل الشام الفعل بالنون:" ونُخْرِجُ" ووجه الخلاف هنا قراءة الفعل يلقاه بضم الياء وتشديد القاف ﴿ويُلَقَّاهُ﴾

ذكر الإمام قراءات شاذة وهي:

قراءة مجاهد والحسن البصري وابن محيصن بفتح الياء "وَيخْرجُ" وفتح ياء الفعل:" يَلْقَاهُ"، قراءة بعض أهل المدينة بضم الياء ﴿ويُخرَجُ لَهُ﴾ بضم الياء وتشديد القاف ﴿ويُلَقَّاهُ﴾.

ملاحظة: رجّح الإمام قراءة ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ الفعل بالنون: "ونُخْرِجُ"، وفتح ياء الفعل وتخفيف القاف:" يَلْقَاهُ".

ثانيًا: أوجه اختلاف القراءات في الآية من التحرير والتنوير:

ذكر اختلاف القراء في الآية علىٰ النحو التالي:

قرأ الجمهور الفعل بالنون وكسر الراء "ونُخْرِجُ" وفتح ياء الفعل وتخفيف القاف:" يَلْقَاهُ"

قرأ ابن عامر وأبو جعفر بضم الياء وتشديد القاف " يُلَقّاهُ"، قرأ يعقوب وأبو جعفر بياء الغيبة وكسر الراء.

ملاحظة: ذكر الإمام فعل "يلقاه" وعرض معناه وما يؤول اليه في الآية في تدرجه عند شرحه كلمات الآية والأصل والمعتمد عنده وهو الابتداء رأسًا بقراءة نافع، وهنا لم يتوسع في ذكر القراء واكتفىٰ بلفظ " الجمهور" ثم عرض إلىٰ الوجه الثاني وفصَّل فيه.

ثالثًا: أوجه اختلاف القراءات المذكورة في الآية من كتب القراءات القرآنية(٤٥):

قرأ الحسن "الزمنا طيره" بغير ألف.

اختلف في مضارع الفعل "خرج" بالياء المفتوحة وضم الراء وهي قراءة يعقوب وابن محصن والحسن وقرأ أبو جعفر بالياء المضمومة وفتح الراء، وقرأ الباقون بنون العظمة وكسر الراء.

الوجه الأول: "يُلقَّاه": قرأ بها ابن عامر وأبو جعفر بضم اللام وتشديد القاف.

الوجه الثاني: ﴿يَلْقاهُ﴾، قرأ الباقون بفتح الياء وتسكين اللام وتخفيف القاف.

الوجه الثالث: ﴿يَلْقاهُ﴾ بالإمالة: قرأ بإمالة القاف ابن ذكوان من طريق الصوري في رواية الأكثرين وحمزة والكسائي وخلف وقلله الأزرق بخلفه.

الوجه الرابع: ﴿ ويُخرِجُ.....يُلْقاهُ﴾: بضم الياء وسكون اللام قراءة الحسن ومجاهد.

مقارنة وتعقيب:

أولًا: لم يشر الإمامان لقراءة الكسائي بالإمالة.

---

(٤٥) الحجة في علل القراءات السبع ج:٣ ص: ٣٨٩. الحجة في القراءات، ابن زنجلة، ص:١٩٤. اتحاف فضلاء البشر بالقراءات، ص: ١٩٤. المبسوط في القراءات العشر، أبي بكر الأصبهاني، ص:٢٦٨. تحبير التيسير في القراءات في القراءات العشر، ابن الجزري، ص: ٤٣٥-٤٣٦

ثانيًا: ذكر قراءتين: "وَيخْرجُ" وفتح ياء الفعل:" يَلْقَاهُ" و﴿ويُخرَجُ لَهُ﴾ بضم الياء وتشديد القاف ﴿ويُلَقَّاهُ﴾ بروّاة مختلفين فالإمام طاهر بن عاشور نسبها ليعقوب وأبي جعفر دون الاشارة إلىٰ أنها قراءة شاذة علىٰ خلاف الإمام الطبري الذي نسبها للحسن البصري ومجاهد وابن محيصن وبعض أهل المدينة واعتبرها قراءة شاذة.

ثالثًا: ذكر الإمام الطبري قراءة لمجاهد والحسن البصري وقال: "هكذا أحسبه قرأها بفتح الياء" في حين في كتب القراءات وتوجيهها بضم الياء وسكون اللام ﴿ويُخرِجُ.....يُلْقاهُ﴾.

رابعًا: بعض كتب القراءات تنسب القراءة " يُلقّاه" بضم الياء وتشديد القاف لابن عامر وحده وبعض الكتب لابن عامر وأبو جعفر.

المطلب الثاني: التوجيه النحوي واللغوي للآية:

أولًا: التوجيه النحوي واللغوي لآية في جامع البيان:

استهل الإمام الآية بدلالة لفظ الطائر ومعناه وسرد قول أهل التأويل في ذلك؛ حيث ذهب إلىٰ أن معناه عمله، وما ليؤول به ذلك العمل علىٰ صاحبه بالخير والشر، وهو واقع العرب في طيرتهم ببعض الطيور، فجاءت الآية من قبيل التمثيل والتقريب لما يحاكيه العرب في مثل هذا، ففي هذا الموضع استدل الإمام بالحقيقة العرفية للفظ في استعمال العرب، وربطه بالحقيقة الشرعية لمعنىٰ اللفظ، ثم استدل علىٰ قوله بما جاء عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم والصحابة الكرام في تفسير الآية من أحاديث وآثار:

عن جابر بن عبد الله أن نبيّ الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: "لا عَدْوَىٰ وَلا طِيَرَةَ وكُلَّ إنسان أَلْزَمْناهُ طائِرَه فِي عُنُقِهِ[٤٦]. ومن الآثار في تفسير الآية ما ورد عن ابن عباس وعن مجاهد وقتادة، ثم استعرض أوجه الاختلاف في الآية مع توجيهها علىٰ النحو التالي:

الوجه الأول: ﴿يَلْقاهُ﴾:

بفتح الياء وتخفيف القاف وضم النون في فعل "نُخرج" بمعنىٰ الفاعل ضمير مستتر تقديره نحن وهو عائد علىٰ المولىٰ جل ذكره "ونخرج له نحن يوم القيامة"؛ حيث جاء بصيغة الجمع فهو شبيه بفعل "ألزمناه" العائد علىٰ المولىٰ جل ذكره وكلا الفعلين في زمن غير الثاني، ففعل الإلزام في الحياة الدنيا؛ حيث التكليف، أما "نخرج" في الحياة الآخرة حينما ينتهي التكليف وتبدأ مرحلة الحساب، فيرد إليه عمله، وهو معنىٰ قوله: "ونخرج له نحن يوم القيامة ردًّا علىٰ قوله: ﴿أَلْزَمْناهُ﴾"، فيكون المعنىٰ العام بهذا التوجيه: "ونحن نخرج له يوم القيامة كتاب عمله منشورًا".

الوجه الثاني: ﴿ويُلَقَّاهُ﴾:

بضم الياء وتشديد القاف، فهنا كأن الحدث في هذه الصورة: فعلا الإلزام والإخراج عائدان علىٰ المولىٰ جل ذكره: جاءت مرحلة الإلزام، ثم تلتها مرحلة الحساب، وفي زمن الحساب الأخروي يقدم له كتابه منشورًا، فهنا بمعنىٰ يجد كتابه منشورًا أمامه ولم يسم فاعله: أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب عرضته له؟ فـ"يلقىٰ الإنسان ذلك الكتاب منشورًا".

---

(٤٦) وأخرج الطبري في "تفسيره" ٩/ ٥٠-٥١ من طريق قتادة . عن جابر بن عبد الله أن نبي الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: "لا عدوىٰ ولا طيرة: وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه" وفي إسناده انقطاع، قتادة لم يدرك جابرا مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه حديث رقم: ١٤٦٩١

الوجه الثالث: القراءات الشاذة:

ثم وجَّه القراءة بفتح الياء ﴿وَيخْرَجُ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ كِتابًا﴾، بمعنىٰ ما كان به ملزمًا هو الذي يخرج له في صورة كتاب يقرأه مبسوط أمامه منشورًا، فالفاعل هنا ضمير مستتر تقديره الطائر، "فيخرج الطائر كتابًا".

أما ضم الياء ﴿ويُخرَجُ لَهُ﴾ فهو مبني للمفعول محذوف فاعله "علىٰ مذهب مالم يسمّ فاعله" وأيضًا تأدبا مع الله من جهة إن كان عائدًا عليه جل ذكره أو قد يعود علىٰ ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب... والله أعلم.

الترجيح بين القراءتين عند الإمام الطبري:

رجَّح الإمام القراءة بفتح الياء وتخفيف القاف ﴿يَلقاهُ﴾ وضم النون في فعل ﴿ونُخْرِجُ﴾، وقال: "وأولىٰ القراءات في ذلك بالصواب" استدلال الإمام علىٰ ذلك:

أولًا: الاستدلال من سياق القرآن:

إن فعل الإلزام عائد عليه جل ذكره فما يليه من أفعال في نفس معنىٰ وسياق الآية فمن الصواب "أن يكون الذي يليه خبرًا عنه"، فنون العظمة في ألزمناه تعود بالإخبار عن المولىٰ كما تعود بالإخبار عنه جل ذكره في فعل الاخراج.

ثانيًا: القراءات القرآنية:

كون القراءة متواترة وثبتت عند الحجة من القراء، "فإنَّ في إجماع الحجة من القرَّاء علىٰ تصويب ما اخترنا من القراءة في ذلك"، واعتبر ما خالفها من القراءات الشاذة ما هو إلا تدليل علىٰ تقارب معنىٰ القراءتين، فسواء نخرج بنون العظمة أو يخرج بفتح الياء، تعود الضمائر فيهما علىٰ الطائر الملزم في الأعناق، وتخفيف القاف وفتح التاء أو ضم الياء، وتشديد القاف أيضًا ما كان مبنيًّا للمعلوم، فمفعوله صريح وهو الكتاب، وما مبني للمفعول محذوف فاعله، فمفعوله الكتاب، وإن كان فاعله مقدرًا، غير أنه كله من

فعل الله جل ذكره وتفويضه، فكان تأويل الكلام: "وكلّ إنسان منكم يا معشر بني آدم، ألزمناه نحسه وسعد، وشقاءه وسعادته، بما سبق له في علمنا أنه صائر إليه، وعامل من الخير والشرّ في عنقه، فلا يجاوز في شيء من أعماله ما قضينا عليه أنه عامله، وما كتبنا له أنه صائر إليه، ونحن نخرج له إذا وافانا كتابًا يصادفه منشورًا بأعماله التي عملها في الدنيا، وبطائره الذي كتبنا له، وألزمناه إياه في عنقه، قد أحصىٰ عليه ربه فيه كلَّ ما سلف في الدنيا".

ثالثًا: أهل التأويل:

حيث استدل بالأثر من أقوال الصحابة وكلها عن قتادة.

رابعًا: قول أهل اللغة:

تدليل أهل اللغة يستأنس به فقط من جانب أنه أظهر أن معنىٰ الآية يعني حظه من عمله، وهذا يتوافق مع ما نقل عن أهل التأويل أما باقي قولهم، فلا يعتد به "طار سهم فلان بكذا: إذا خرج سهمه علىٰ نصيب من الأنصباء، وذلك وإن كان قولا له وجه، فإن تأويل أهل التأويل علىٰ ما قد بينت، وغير جائز أن يتجاوز في تأويل القرآن ما قالوه إلىٰ غيره".

ثانيًا: التوجيه النحوي واللغوي للآية في التحرير والتنوير:

استهل الإمام بذكر المعنىٰ العام للآيات الذي لخصه في العمل الصالح والطالح وما جاء فيهما من ترغيب وترهيب وما يترتب عنهما من جزاء وعقاب وكله دليل علىٰ علمه الذي وسع كل شيء ثم وجه الآية بلاغيا وجعلها من باب عطف الخاص علىٰ العام ومثل لها بقوله: "وهو التَّفْصِيلُ المُشابِهُ لِلتَّقْيِيدِ بِالكِتابَةِ، فَعَطْفُ قَوْلِهِ وكُلَّ إنسان إلَخْ عَلىٰ قَوْلِهِ: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴾ [الإسراء: ١٢]، عَطْفٌ خاصٌّ عَلىٰ عامٍّ؛ لِلِاهْتِمامِ بِهَذا الخاصِّ".

فخلص إلىٰ معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وكُلَّ إنسان أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ﴾ أن: كُلَّ إنسان قَدَّرْنا لَهُ عَمَلَهُ في عَمَلِنا فَهو عامِلٌ بِهِ لا مَحالَةَ، وهَذا مِن أحْوالِ الدُّنْيا.

ثم تطرَّق إلىٰ معاني الكلمات: الطائر، الإلزام، الكتاب، اللقاء

فجاء إلىٰ كلمة "الطائر" ووجهها لغويًّا: بالسهم أو القرطاس حيث يعين فيه حظ الشخص من القسمة أو القرعة، ثم مثَّل لذلك.

واستدل لتوجيهه اللغوي بالحديث الشريف:

حيث ذكر قول أم العلاء الأنصارية في حديث الهجرة وهو حديث في صحيح البخاري نصه: "طَارَ لَنَا عُثْمَانُ بنُ مَظْعُونٍ في السُّكْنَىٰ، حِينَ اقْتَرَعَتِ الأنْصَارُ علَىٰ سُكْنَىٰ المُهَاجِرِينَ، فَاشْتَكَىٰ فَمَرَّضْنَاهُ حتَّىٰ تُوُفِّيَ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ في أثْوَابِهِ، فَدَخَلَ عَلَيْنَا رَسولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقُلْتُ: رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْكَ أبَا السَّائِبِ، فَشَهَادَتي عَلَيْكَ لَقَدْ أكْرَمَكَ اللهُ، قالَ: وما يُدْرِيكِ قُلْتُ: لا أدْرِي واللهِ، قالَ: أمَّا هو فقَدْ جَاءَهُ اليَقِينُ، إنِّي لَأَرْجُو له الخَيْرَ مِنَ اللهِ، واللهِ ما أدْرِي - وأَنَا رَسولُ اللهِ - ما يُفْعَلُ بي ولَا بكُمْ قالَتْ أُمُّ العَلَاءِ: فَوَاللهِ لا أُزَكِّي أحَدًا بَعْدَهُ، قالَتْ: ورَأَيْتُ لِعُثْمَانَ في النَّوْمِ عَيْنًا تَجْرِي، فَجِئْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّمَ فَذَكَرْتُ ذلكَ له، فَقالَ: ذَاكِ عَمَلُهُ يَجْرِي له"[٤٧].

الاستدلال بالحقيقة العرفية للفظ: وهنا نقف علىٰ حقيقة أي لفظ لا تخرج عن معناه اللغوي والعرفي والشرعي، وذلك بالرجوع للوضع المعتبر فيه: إذا كان وضع اللغة، فهي حقيقة لغوية، وهي استعمال اللفظ في موضعه الأصلي، فإطلاق لفظ الأسد يعني حيوانًا مفترسًا أولًا، أما إذا كان وضع الشرع فهي شرعية، بمعنىٰ ما استمدت تسميتها من نصوص الشرع، وما كان من عرف الاستعمال فهي عرفية[٤٨].

---

(٤٧) صحيح البخاري، البخاري، الدرر السنية، رقم الحديث ٣٩٢٩

(٤٨) قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية: حسين بن علي الحربي، مراجعة : مناع بن خليل القطان، دار القاسم، الرياض، الطبعة الأولىٰ: ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص: ٤٠١،٤٠٢

ففي عرف العرب لفظ الطائر هو السهم الذي يحمل ريشًا في قذذه مرقوم باسم الشخص، "فهنا أُطْلِقَ عَلىٰ الحَظِّ مِنَ العَمَلِ مِثْلَ ما يُطْلَقُ اسْمُ السَّهْمِ عَلىٰ حَظِّ الإنسان مِن شَيْءٍ ما".

وأيضًا في عرف العرب يطلق علىٰ طير الشؤم أو البخت في اعتراضه لطريقهم، وفي أسفارهم، "وشاعَ ذَلِكَ في الكَلامِ فَأُطْلِقَ الطّائِرُ عَلىٰ حَظِّ الإنسان مِن خَيْرٍ أوْ شَرٍّ".

تعليق:

ونخلص إلىٰ أن الحقيقة اللغوية وافقت الحقيقة العرفية، وكلاهما يخدم الحقيقة الشرعية للفظ من تأويل أهل العلم للفظ أنه خالص عمله، أما التوجيه اللغوي للفظ "الإلزام": بعدم المفارقة، ثم وجه ﴿فِي عُنُقِهِ﴾ توجيهًا بلاغيًّا؛ حيث اعتبرها من باب الكناية "عَنِ المُلازَمَةِ والقُرْبِ".

الاستدلال لتوجيهه النحوي بقول العرب:

"تُقَلِّدُها طَوْقَ الحَمامَةِ وقول الأعشىٰ: والشِّعْرُ قَلَّدْتُهُ سَلامَةَ ذا فائِشٍ والشَّيْءُ حَيْثُما جُعِلا"، فقول الأعشىٰ يؤكد ما استدل به من استعمال اللفظ في عرف العرب.

الاستدلال بالحقيقة العرفية: وهي علامات كانت توضع في الرقاب لتعيين بعض الأشخاص لخدمة معينة، وهو ما كان في الاسلام موضوعًا لأهل الذمم ولعل بيت بشار يؤكد قوله.

الاستدلال بالشعر العربي: وهو ما أكد الحقيقة العرفية للاستعمال:

كَتَبَ الحُبُّ لَها في عُنُقِي * مَوْضِعَ الخاتَمِ مِن أهْلِ الذِّمَمِ**

ليخلص في الأخير أن الجزاء من جنس العمل غير ناقص، وأن ما أورده هنا من معان "غَيْرُ كِتابَةِ الأعْمالِ الَّتِي سَتُذْكَرُ عَقِبَ هَذا بِقَوْلِهِ: ﴿ونُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ كِتابًا﴾... الآيَةَ".

وجملة: ﴿ونُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ كِتابًا﴾ معطوفة علىٰ ﴿وكُلَّ إنسان أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ في عُنُقِهِ﴾، فما قُيِّد بالأعناق ينشر مفصلًا بلا نقصان، فالإخراج يوحي بأن ما كان مستورًا مقيدًا بالغيب صار مفصلًا منشورًا منظورًا، ثم استعرض أوجه الاختلاف في الآية مع توجيهها علىٰ النحو التالي:

الوجه الأول: ﴿يَلْقاهُ﴾.

التوجيه البلاغي لقراءة يعقوب: " يُخرِج له....يَلقاهُ":

حيث قرأها بياء الغيبة وكسر الراء "الضَّمِيرُ عائِدٌ إلىٰ اللهِ المَعْلُومِ مِنَ المَقامِ، وهو التِفاتٌ".

﴿ وَكُلَّ إنسان أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴾ [الإسراء: ١٣]، فالضمير في ألزمناه نون العظمة عائد علىٰ الله جل ذكره، وهنا بصيغة المتكلم، ثم انتقل في نفس سياق الكلام إلىٰ الغائب في يخرج، فصار الضمير "هو" عائد علىٰ الله جل ذكره، وهذا ما يسمىٰ بالالتفات، "والضَّمِيرُ عائِدٌ إلىٰ اللهِ المَعْلُومِ مِنَ المَقامِ، وهو التِفاتٌ".

التوجيه النحوي لقراءة أبي جعفر: " يُخرَج....يَلقاهُ":

يخرج: فعل مضارع مبني للمجهول، له: شبه جملة من جار ومجرور في محل رفع نائب فاعل

كتابا: مفعول به منصوب، وأضاف "وذَلِكَ جائِزٌ" يعني هذا الوجه من وجوه الإعراب صحيح لا يخالف القرآن.

ثم أورد المقصود بالكتاب والنشر، فقال: "والكِتابُ: ما فِيهِ ذِكْرُ الأعْمالِ وإحْصاؤُها، والنَّشْرُ: ضِدُّ الطَّيِّ".

توجيه اللغوي والبلاغي: ﴿يَلْقاهُ﴾:

"ومَعْنىٰ يَلْقاهُ يَجِدُهُ، اسْتُعِيرَ فِعْلُ يَلْقىٰ لِمَعْنىٰ يَجِدُ؛ تَشْبِيهًا لِوِجْدانِ النِّسْبَةِ بِلِقاءِ الشَّخْصِ"، فلقِيَ: من "يَلقَىٰ، الْقَ، لِقاءً ولُقيانًا ولُقْيَةً: لقِي الشّخصَ صادفه ورآه: لقِيه في الطَّرِيق"[٤٩]، فلما كان الفعل فيه نسبة المصاحبة بلقاء شخص، فكأنه علىٰ موعد بلقائه، فيجده حاضرًا، فكانت كلمة النشر كناية عن ذلك بسرعة الاطلاع علىٰ جميع عمله، "بِحَيْثُ إنَّ الكِتابَ يَحْضُرُ مِن قَبْلِ وُصُولِ صاحِبِهِ مَفْتُوحًا لِلْمُطالَعَةِ"، وهذه لفتة رائعة للإمام ودلالة علىٰ جزالة فهمه وعمق تدبره في هذا العلم الجليل.

الوجه الثاني: ﴿ويُلَقَّاهُ﴾:

بضم الياء وتشديد القاف.

التوجيه النحوي ﴿ويُلَقَّاهُ﴾:

يُلقَّاه: فعل مضارع مبني للمجهول بناه للمفعول وعداه إلىٰ مفعولين "مَبْنِيًّا لِلْمَجْهُولِ عَلىٰ أنَّهُ مُضاعَفُ لَقِيَ تَضْعِيفًا لِلتَّعْدِيَةِ، أيْ يَجْعَلُهُ لاقِيًا".

المفعول به الأول: هو الضمير المستتر تقديره "هو" العائد علىٰ "وكل إنسان".

المفعول به الثاني: هو الضمير المتصل " الهاء" العائد علىٰ الكتاب[٥٠].

الاستدلال علىٰ التوجيه النحوي للقراءة من القرآن الكريم:

ورود فعل "يُلقَّاه" في القرآن الكريم في مواضع أخرىٰ متعد بمفعولين؛ كقوله تعالىٰ: ﴿ ولَقّاهم نَضْرَةً وسُرُورًا ﴾ [الإنسان: ١١]، كقَوْلِهِ: ﴿ وما يُلَقّاها إلّا الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ [فصلت: ٣٥]، وقَوْلِهِ: ﴿ ويُلَقَّوْنَ فِيها تَحِيَّةً وسَلامًا ﴾ [الفرقان: ٧٥].

---

(٤٩) معجم اللغة العربية المعاصر، موقع المعاني

(٥٠) تحبير التيسير في القراءات العشر، ابن الجزري، تحقيق: أحمد القضاة، دار الفرقان، ط:١، ٢٠٠٠، الأردن ص: ٤٤٨

أما نشر الكتاب: بمعنىٰ "الإظهار والقراءة" فاستنادا إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ [التكوير: ١٠].

ثالثًا: التوجيه النحوي واللغوي من كتب توجيه القراءات مع الترجيح(٥١):

طائره: بمعنىٰ حظه وبمعنىٰ عمله، وما قدَّم من خير وشرٍّ، وسُمي العمل بالطائر عرفًا لَما هو متعارف عند العرب، وبه جاء القرآن في مواضع عدة؛ كقوله تعالىٰ: ﴿ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ ﴾ [يس: ١٩]، ﴿ إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ ﴾ [الأعراف: ١٣١]، والأدلة علىٰ ذلك من قول العرب والشعر العربي والأحاديث واردة في نفس السياق، أما التدليل علىٰ الكتاب من القران وانتصابه مفعولًا به قوله تعالىٰ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴾ [الحاقة: ١٩]، قوله تعالىٰ: ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء: ١٤]، والتدليل علىٰ النشر "يَلقَاهُ مَنشُورًا" من القرآن قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ [التكوير: ١٠].

أما توجيه الفعل المضارع "خرج" ما كان بالياء المفتوحة والضم الراء، فالفاعل ضمير يعود علىٰ الطائر، وما كان بالياء المضمومة وفتح الراء مبنيًّا للمفعول، فنائب الفاعل ضمير يعود علىٰ الطائر أيضًا.

الوجه الأول: ﴿يَلْقاهُ﴾:

"يلقاه": الإنسان هو القائم بالفعل فالمولىٰ جل ذكره ألزم كل إنسان طائره، فيوم يخرج الكتاب ناشرًا لما كان مدونًا حين الإلزام، فلن يلق ذلك الكتاب إلا صاحبه بدليل قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٨]، ولم يقل "يُلقَّ أثامًا"، فمتىٰ بني الفعل للمفعول به نقص مفعول من المفعولين؛ لأن أحدهما يقوم مقام الفاعل في إسناده إليه فيبق متعديا إلىٰ مفعول واحد.

---

(٥١) الحجة في علل القراءات السبع ج:٣، ص:٣٩١. الحجة القراءات، ابن زنجلة، ص: ٣٩٨.إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ص:١٩٤

الوجه الثاني: ﴿وَيُلَقَّاهُ﴾:

الفاعل هنا غير الإنسان، بل للملائكة تتلقَّاه بكتابه فيه نسخة عمله، وهو من قولك: "لقيت الكتاب"، فإذا ضعَّفت قلت: "لقانيه زيد".

فهنا يتعدىٰ الفعل بتضعيف العين إلىٰ مفعولين بعد ما كان يتعدىٰ بغير التضعيف إلىٰ مفعول واحد، فإذا بُني للمفعول به نقص مفعول من المفعولين؛ لأن أحدهما يقوم مقام الفاعل في إسناده، فيبقىٰ متعديًا إلىٰ مفعول واحد، والاستدلال علىٰ هذا التوجيه من القرآن متعديًا بمفعولين قوله تعالىٰ: وقَوْلِهِ: ﴿ وَيُلَقَّوْنَ فِيها تَحِيَّةً وسَلامًا ﴾ [الفرقان: ٧٥]، وفي البناء للفاعل: قوله تعالىٰ: ﴿ ولَقَّاهم نَضْرَةً وسُرُورًا ﴾ [الإنسان: ١١].

الوجه الثالث: ﴿ ويُخرِجُ.....يُلْقاهُ﴾:

بضم الياء وسكون اللام بمعنىٰ يخرج طائره له كتابًا يلقاه منشورًا.

الوجه الرابع: ﴿يَلْقاهُ﴾ بالإمالة:

بإمالة القاف وهنا مقوله لصاحب الحجة في علل القراءات: "في إمالتها حسنة وفي تتركها حسنة"، وكأنها من باب المباح وكلا الوجهين جائز.

المطلب الثالث: منهج الإمامين في التفسير وتوجيه القراءات:

أولًا: منهج الإمام الطبري في توجيه القراءات في الآية:

- اعتمد الإمام مجموعة من الأدوات في توجيه هذه الآية وهي:
- الاستدلال بالقرآن الكريم في توجيه القراءة والترجيح بينها.
- الاستدلال بالقراءات القرآنية في الترجيح والتوجيه.
- الاستدلال بالحديث النبوي في الترجيح والتوجيه.
- الاستدلال بأهل التأويل في توجيه القراءة وترجيحها.
- الاستدلال بقول أهل اللغة في توجيه القراءة وترجيحها.
- اعتماد وجوه الإعراب الصحيحة في توجيه القراءة.

- اعتماد القراءات المتواترة، وذكر القراءات الشاذة عملًا بقاعدة: "اتحاد معنىٰ القراءتين أولىٰ من اختلافه"(٥٢).

- اعتماد العرف أو الحقيقة العرفية وربطها بالحقيقة اللغوية والشرعية.

ثانيًا: منهج الإمام الطاهر ابن عاشور في القراءات في الآية:

- بدأ الإمام بقراءة الجمهور التي منها قراءة الإمام نافع برواية قالون علىٰ رأس القراءات في استعراضه، لأوجه الاختلاف بين القراء، ثم ذكر القراءات التي توافق رسم المصحف العثماني، وتوسع في ذكر القراءات العشر ونسبتها إلىٰ قرائها ورواتها.

- كما استدل بآيات من القرآن في توجيه القراءة.

- الاستدلال بالحديث النبوي الصحيح في توجيه القراءة.

- التوسع في أوجه الإعراب الصحيحة من اللغة العربية والتعليل البلاغي والنحوي لكل قراءة علىٰ حدا.

- في هذا الموضع لم يرجح بين وجوه هذه القراءات.

- الاستدلال بالشعر في التوجيه والتعليل.

- الربط بين الحقيقة اللغوية والعرفية والشرعية للألفاظ لتوجيه القراءة.

- إضافة إلىٰ اعتبار السياق القرآني ولغة العرب طرق في توجيه القراءة.

مقارنة وتعقيب:

لم يخرج الإمام الطاهر ابن عاشور عن المنهج العام الذي وضعه في توجيهه للقراءات بصفة عامة

في استقراء منهج الإمام الطبري، نجده لا يخرج عن منهج باقي علماء التفسير فما يستعمله من قواعد للترجيح أو التوجيه نفسها عند الإمام الطاهر ابن عاشور.

---

(٥٢) قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية: حسين بن علي الحربي، مراجعة : مناع بن خليل القطان، دار القاسم، الرياض، الطبعة الأولىٰ: ١٤١٧ه-١٩٩٦م،ص:١٠٠

نخلص إلىٰ نتائج منها:

- اعتنىٰ كل من الإمامين بتوجيه القراءات القرآنية وبيان أثر المعنىٰ في التوجيه.
- اعتبار القراءات القرآنية حجة علىٰ النحو، ومنه يستمد قواعده وليس العكس.
- القراءات المتواترة تعتبر حجة لا تحتاج إلىٰ ترجيح بينها، وهذا ما عمل به كلا الإمامين في نطاق الدراسة.
- توجيه القراءات توجيهًا بلاغيًّا ونحويًّا ولغويًّا من الأمور المهمة عند الإمامين في تفسير القرآن وبيان معانيه.
- شروط قبول القراءة من عدمها اتفق عليه الإمامان؛ حيث ذكره الإمام الطاهر ابن عاشور في مقدمته السادسة صراحة، في حين لم يذكره الإمام الطبري، وإنما يُستنتج من مضمون تفاسيره للآيات.
- لم يخالف الإمام محمد الطاهر ابن عاشور منهجه التي تقيد به في مقدمته تفسيره وَفق النماذج في الدراسة.
- للعرف وأقوال أهل اللغة والتأويل أثرٌ في توجيه القراءات.

المصادر:

- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، المسمىٰ منتهىٰ الأماني والمسرات في علوم القراءات: أحمد بن محمد البنا، تحقيق: شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولىٰ١٤٠٧ه-١٩٨٧م.
- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي.
- أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر ابن عاشور في كتابه التحرير والتنوير، مشرف بن الزهراني، ١٤٢٦-١٤٢٧.
- العلامة المجدد محمد الطاهر ابن عاشور وأثره في الحفاظ علىٰ التراث العربي والإسلامي، أحمد عيساوي، مجلة آفاق الثقافة والتراث، دبي، العدد الثالث، ٢٠٠٣م.
- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، طبعة: ١٥، ٢٠٠٢.
- الاحتجاج للقراءات في كتاب حجة القراءات لابن زنجلة، علي بن عامر بن علي الشهري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرىٰ، ١٤٢٤-١٤٢٥.
- الأخيار عند القراء، مفهومه، مراحله، وأثره في القراءات، أمين بن إدريس فلاتة، كرسي القرآن الكريم وعلومه، جامعة الملك سعود.
- الإمام الطبري، محمد الزحيلي، دار القلم، دمشق، الطبعة:٣، ١٩٩٩.
- أوجه اختلاف القراءات وآثاره توجيهها: نماذج من سورة الإسراء، عدنان بن عبد الرزاق الحموي العلي، مجلة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، العدد ٢٣، ٢٠٠٥، جامعة قطر.
- البداية والنهاية، ابن كثير، ج: ١١.
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولىٰ:١٩٥٧، دار أحياء الكتب، بيروت، لبنان، ج:٣.

- تحبير التيسير في القراءات العشر، ابن الجزري، تحقيق: أحمد القضاة، دار الفرقان، ط:١، ٢٠٠٠، الأردن.
- التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية، تونس، ج:١٥.
- الترجيح بين القراءات أحكامه وموقف المفسرين منه، نور الدين عتر وأخرين، مجلة بحوث جامعة حلب، سلسلة العلوم القانونية والشرعية، العدد: ٤، ٢٠١٤.
- تهذيب الأسماء واللغات، الإمام النووي، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت.
- توجيه القراءات تعريفه، أسماؤه، مصطلحاته، مصادره دراسة استقرائية تحليلية، النعيم حمزة محمد، مجلة العلمية لكلية الدين والدعوة بالزقازيق، جامعة الأزهر، المجلد ٣١، العدد ٣ يوليو ٢٠١٩من الصفحة ٢٢٣٤-٢١٩٩.
- جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، دار إحياء الكتب العربية الحلبي، ج: ١٧.
- جامع البيان في القراءات السبع المشهورة، أبو عمرو الداني، تحقيق: محمد صدوق الجزائري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٥.
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عرفان العشا، بيروت، دار الفكر، ط:١، ١٩٩٣، ج:١.
- الحجة في علل القراءات السبع: أبو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي النحوي، تحقيق: علىٰ محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٧م-١٤٢٨ه.
- الحجة في القراءات: ابن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة،١٤١٨ه-١٩٩٧م.
- المبسوط في القراءات العشر، أبي بكر الأصبهاني، تحقيق: سبيع حمزة حاكمي، مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٨١م.

- تحبير التيسير في القراءات في القراءات العشر، ابن الجزري، تحقيق: أحمد محمد مفلح القضاة، دار الفرقان، الأردن، الطبعة الأولىٰ١٤٢١ه-٢٠٠٠م.
- صحيح البخاري، البخاري، الدرر السنية.
- طبقات الشافعية الكبرىٰ، تاج الدين السبكي.
- قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين الحربي، دار القلم، الجزء الأول، ط:١، ١٩٩٦.
- لسان العرب، ابن منظور، مادة وجه، ج:١٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:٢، ١٣١٩هـ.
- المبسوط في القراءات العشر، أبي بكر الأصبهاني، تحقيق: حمزة حاكمي، مجمع اللغة العربية، دمشق، د ط، د ت.
- التبصرة في القراءات السبع، أبي محمد مكي بن أب طالب القيرواني القرطبي، تحقيق: محمد غوث الندوي، الدار السلفية، الهند، الطبعة الثانية:١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- تقريب النشر في القراءات العشر: ابن الجزري، تحقيق: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ١٤٢٣ه-٢٠٠٢م.
- الإقناع في القراءات السبع، أبي جعفر بن خلف الانصاري، تحقيق: عبد المجيد قطامش، الجزء الأول، الطبعة الأولىٰ:١٤٠٣، دار الفكر، دمشق.
- البذور الزاهرة، عبد الفتاح القاضي، مكتبة أنس بن مالك، مكة، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٢،
- التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني، تصحيح أوتويرتزل، مطبعة الدولة:١٩٣٠ إستانبول.
- مجموع الفتاوىٰ الكبرىٰ، ابن تيمية، ج: ١٣.

- مختار الصحاح، أبو بكر الرازي.
- معجم الاصطلاحات في علمي التجويد والقراءات، إبراهيم الدوسري، ص: ٢١.
- معجم اللغة العربية المعاصر، موقع المعاني.
- المغني في علم التجويد، عبد الرحمن الجمل، ط: ٣، ٢٠٠٢.
- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلان، مطبعة البابي، مصر، ص: ٤٠٣.
- مقدمة الكشف المغطىٰ من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، محمد الطاهر ابن عاشور، تحقيق طه بن علي التونسي، دار السلام، القاهرة، طبعة ١، ٢٠٠٦م.
- منجد المقرئين ومرشد الطالبين، محمد الجزري، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩.
- منهج الإمام ابن عاشور في القراءات في تفسيره التحرير والتنوير، بسام رضوان عليان، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد ١٩، العدد الثاني، يونيو ٢٠١١.
- الموسوعة التاريخية، الدرر السنية.
- ميزان الاعتدال، الذهبي، ج: ٣.
- قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية: حسين بن علي الحربي، دار القاسم، الرياض، الطبعة الأولىٰ: ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

الفهرس

الفصل الأول: مدخل لعلم التوجيه ٦
أولًا: تعريف التوجيه لغة واصطلاحًا: ٦
اصطلاحًا: ٦
ثانيًا: تعريف القراءات لغة واصطلاحًا: ٧
الفرع الثاني: مصطلحات علم التوجيه: ٨
اصطلاحًا: ٨
ثانيًا: تعريف الترجيح لغة واصطلاحًا: ٩
اصطلاحًا: ٩
ثالثًا: تعريف الاحتجاج لغة واصطلاحًا: ٩
اصطلاحًا: ٩
المبحث الثاني ١١
نبذة عن الإمامين والتفسيرين ١١
المطلب الأول: الإمام الطبري وتفسيره "جامع البيان:" ١١
أولًا: مولده ومكانته العلمية: ١١
ثانيًا: مؤلفاته: ١٢
ترك الإمام كما هائلا من المصنفات: ١٢
ثالثًا: وفاته: ١٣
المطلب الثاني: الإمام الطاهر ابن عاشور وتفسيره "التحرير والتنوير": ١٤
أولًا: حياته والمناصب التي تقلدها: ١٤
ثانيًا: مكانته العلمية وآثاره: ١٥
فقد ترك آثار علمية ومصنفات قيمة ومنوعة منها(): ١٦
الْعُلُوم الإسلامية: ١٦
ثالثًا: وفاته: ١٨

رابعًا: تفسير "التحرير والتنوير": ١٨
الفصل الثاني: نماذج من سورة الإسراء ٢١
المبحث الأول: النموذج الأول: ٢١
المتن من جامع البيان: ٢١
المتن من التحرير والتنوير: ٢٢
أولًا: أوجه اختلاف القراءات من الطبري: ٢٤
ثانيًا: أوجه اختلاف القراءات من التحرير والتنوير: ٢٤
المطلب الأول: أوجه اختلاف القراءات في الآية: ٤٢
أولًا: أوجه اختلاف القراءات في الآية من الطبري: ٤٢
ذكر الإمام قراءات شاذة وهي: ٤٢
ثانيًا: أوجه اختلاف القراءات في الآية من التحرير والتنوير: ٤٢
ذكر اختلاف القراء في الآية علىٰ النحو التالي: ٤٢
ثالثًا: أوجه اختلاف القراءات المذكورة في الآية من كتب القراءات القرآنية(): ٤٣
المطلب الثاني: التوجيه النحوي واللغوي للآية: ٤٤
أولًا: التوجيه النحوي واللغوي لآية في جامع البيان: ٤٤
الوجه الثالث: القراءات الشاذة: ٤٦
الترجيح بين القراءتين عند الإمام الطبري: ٤٦
أولًا: الاستدلال من سياق القرآن: ٤٦
ثانيًا: القراءات القرآنية: ٤٦
ثالثًا: أهل التأويل: ٤٧
رابعًا: قول أهل اللغة: ٤٧
ثانيًا: التوجيه النحوي واللغوي للآية في التحرير والتنوير: ٤٧
واستدل لتوجيهه اللغوي بالحديث الشريف: ٤٨
الاستدلال لتوجيهه النحوي بقول العرب: ٤٩
التوجيه النحوي لقراءة أبي جعفر: " يُخرَج....يَلقاهُ": ٥٠

ثالثًا: التوجيه النحوي واللغوي من كتب توجيه القراءات مع الترجيح ٥٢
الوجه الأول: ٥٢
الوجه الثاني: ٥٣
الوجه الرابع: ٥٣
أولًا: منهج الإمام الطبري في توجيه القراءات في الآية: ٥٣
ثانيًا: منهج الإمام الطاهر ابن عاشور في القراءات في الآية: ٥٤
مقارنة وتعقيب: ٥٤
نخلص إلىٰ نتائج منها: ٥٥
المصادر: ٥٦